

## نقد ميرلوبونتي لنظرية الجشطلت في كتابه "تركيب السلوك"

منى محمود عثمان رشوان\*

monaosmaa719@gmail.com

### ملخص

في إطار الإجابة عن السؤال ما هي علاقة الوعي بالطبيعة ؟ وجد مرلوبونتي لدي المعاصرين له إجابتان الأولى : في الاتجاه الواقعي الذي يري الحقيقة في الأشياء أو القوي الطبيعية والذي تمثل في البيولوجيا و علم النفس ،رات البيولوجيا الكائن الحي مجموعة أجزاءمادية خارج بعضها البعض سواء فسرت عمل الأجزاء بشكل آلي أم فسرت بشكل حيوي ، فبدأت من الكائن الحي كمجموعة أجزاء متجاورة في المكان خارج بعضها البعض، لكن أضافت إليها قوي غير مادية

وفي علم النفس وجدنا نفس الاتجاه المادي الواقعي ،فاعالم نسق من الأشياء خارج بعضها البعض و خارج الوعي بها، والوعي هو أحداث في الدماغ توجد في ذاتها مثل كل الأشياء المادية لكنه يتسم ببعد ذاتي معين هو الوعي ،وهو يرتبط عليا بالأحداث الأخرى) ومن جهه أخرى نجد الاتجاه العقلاني الذي يري الوعي قوة لكن من طبيعة غير مادية ( أما الإجابة الثانية :التي وجدها مرلوبونتي لدي معاصريه عن السؤال عن علاقة الوعي بالطبيعة فهي في الاتجاه الترانسنتدنتالي الذي يري الوعي مكونًا للطبيعة ،يتخذ ومرلوبونتي موقفًا ثالثًا خلاف الواقعي و المثالي .

في القسم الأول يستعرض البحث معني كلمة صورة أو شكل عند ماخ ( إدراك الشكل الكلي للمستطيل مثلا عن طريق إحساسات عضلية معينة للعين ) و يوضح معني الصورة عند اهرنفلس (إدراك الكل لا يرجع إلي إحساسات عضلية إنما إلي معطي موحد مباشر معين مختلف عن الإحساس بالنغمات ينشأ إذا حضرت صور الذاكرة للنغمات المتتابعة ويعتمد عليها) ثم يأتي فرتهيمر -أحد مؤسسي علم نفس الجشطلت - ويرري أن الإحساس

\* مدرس الفلسفة الحديثة و المعاصرة بكلية الآداب - جامعة دمنهور

بالكل الموحد أو الجشتالت يحدث بدون مثير موضوعي معين علي نحو ما يحدث في ظاهرة الفاي : حيث اتضح أن الحركة المدركة هي في الوعي فقط دون وجود شيء يتحرك في الخارج ، وهذه الحركة هي إدراك ومعني في الخبرة لعمليات فسيولوجية تحدث في الدماغ، و تشكل أساسا للخبرة و تتشابه معها في التركيب.

وفي القسم الثاني يتعرض ميرلوبونتي لنقد النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس لأنها تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة في الاتجاه الواقعي علي أنه أجزاء منفصلة خارج بعضها البعض ترتبط بعلاقات العلية ليجد أن هناك علاقة جدلية بين الكائن الحي و البيئة وكلاهما يتبادل العلاقة مع الآخر: البيئة تؤثر لكن لكي يتم التأثير لا بد أن يعرض الكائن الحي أعضاءه لاستقبال التأثير. إذن الإدراك و الحركة في الكائن الحي أو الجهاز العصبي هو وحدة و كل وجشتالت العلاقة بين الأجزاء فيه علاقة عليية دائرية لا خطية

كذلك إلي جانب وجود التركيب المادي والتركيب الحيوي يوجد التركيب الإنساني الذي يتميز بالسلوك الرمزي ، والخطأ الذي وقع فيه أصحاب علم نفس الجشتالت هو أنهم اعتبروا الجشتالت شيء في العالم و ردوا النظامين الحيوي و العقلي للنظام المادي .  
الكلمات المفتاحية: ميرلوبونتي - نظرية الجشطلت - تركيب السلوك

### مقدمة :

في مستهل المقدمة القصيرة- ذات الثلاث صفحات - لكتابه "تركيب السلوك ١٩٤٢م\*" "Structure of Behavior" كتب ميرلوبونتي : "هدفنا هو فهم علاقات الوعي بالطبيعة : خارج بعضها البعض ترتبط معا بعلاقات العلية" (1)، وهذا التصور للطبيعة هو تصور العلوم لها نجده مثلاً في علم الأحياء Biology "حيث الكائن الحي كتلة مادية من الأجزاء خارج بعضها البعض" (2)، وقد ظلت البيولوجيا واقعية \* تفترض الوجود في ذاته in itself لتلك الأجزاء سواء كان تفسيرها آلي mechanistic ( الكائن الحي مجرد أجزاء مادية تعمل بشكل آلي معد من قبل

كما هو الحال في الفعل المنعكس الآلي reflex الذي انتقده ميرلوبونتي في الفصل الأول من كتابه المشار إليه ( أم حيوى vitalistic (أى تفسير يفترض وجود قوى حيوية في الأجزاء المادية تميز الكائنات الحية من الأشياء المادية).

وبالنسبة لعلم النفس "فبالقدر الذي حاول أن يكون علمًا طبيعيًا فقد ظل مخلصًا للواقعية و للتفكير العلى" (3) ، جعل المذهب المادى\*\* ما هو ععلى mental جزءًا من العالم الواقعى ،

فمن بين الأحداث التى توجد في ذاتها هناك أحداث مادية فى الدماغ لها أيضًا خاصية الوجود لأجل الذات for itself (الوعى) أى أن من بين الأحداث فى العالم توجد أحداث لها بعد ذاتى خاص، و ترتبط عليًا بالأحداث الأخرى ، وبالمقابل اعتبر المذهب العقلانى mentalism الوعى قوة لكن من طبيعة غير مادية.

وجدنا هنا تصور الطبيعة ككثرة من الأحداث خارج بعضها البعض، و ترتبط بعلاقة العلية أساسًا لعلمى النفس والبيولوجيا، وهذا هو الاتجاه الواقعى Realistic لكننا نجد اتجاهًا آخرًا لدى المعاصرين لميرلوبونتي يفهم الطبيعة على أنها "مجموعة العلاقات الموضوعية التى يحملها الوعى" (4)، وهذا هو التفكير النقدى Critical thought أى المثالية النقدية التى سادت فرنسا، ويمثلها أستاذه ليون برنشفيك\* Léon Brunschvicg (١٨٦٩-١٩٤٤) التى قدمت حلًا مشهورًا لمشكلة علاقة الوعى بالطبيعة ،حيث رأت أن التأمل قد أوضح أن التحليل المادى ليس تفكيكًا إلى عناصر حقيقية وأن العلية ليست فى معناها الفعلى عملية إنتاجية ،إنه لا توجد طبيعة مادية بمعنى الموجود فى ذاته ولا يوجد فى العالم شىء غريب

عن العقل ، فالطبيعة هي فكرتنا عنها و لولا مقولات الفكر لما وجدت الطبيعة بالنسبة لنا.

فيما سبق وجدنا اتجاهين في معالجة علاقة الوعي بالطبيعة الأول: هو الواقعية التي رأت الوعي نتاجا للطبيعة، والثاني: هو الاتجاه المثالي الذي رأى الوعي مكونًا constitutes للطبيعة، الأول هو الاتجاه الطبيعي naturalism و الثاني هو الفلسفة الترانسندنتالية Transcendental ويحاول ميرلوبونتي فهم علاقة الوعي بالطبيعة لكن دون الوصول إلى هذين الاتجاهين ( الواقعي أو الطبيعي naturalist و المثالي الترانسندنتالي ) أى دون الوجود في ذاته الذي افترضه علم النفس (لكي يصبح علمًا طبيعيًا) وبدون الوعي الخالص الترانسندنتالي الذي يكون العالم ولا يقع فيه وذلك من خلال دراسته للسلوك Behavior ، وهو يرى أن " فكرة السلوك مهمة لأننا- إذا اعتبرناها في ذاتها- نجدها محايدة بالنسبة للتمييز الكلاسيكي بين (العقلي mental ) و(الفيسيولوجي physiological)، ومن ثم تعطينا هذه الفكرة الفرصة لتحديد الاثنين من جديد " ( 5 ) ؛ أى أننا إذا وجدنا سابقًا - في بحث علاقة الوعي بالطبيعة - الاتجاهين المثالي والواقعي أى ما يجعل الوعي (العقلي) مكونًا للطبيعة عاليًا عليها و ما يجعل الطبيعة (الفيسيولوجي) أو الأحداث المادية موجود في ذاته، فالسلوك محايد بالنسبة للطرفين لا ينتمى لأى منهما منفصلاً.

### إشكالية ومنهج البحث:

السؤال المحورى فى البحث هو: ما طبيعة النقد الذى وجهه ميرلوبونتي لنظرية الجشطالت فى مؤلفه "تركيب السلوك"؟ ولماذا وقع اختياره على السلوك أساسًا لهذا النقد؟ ويتفرع عن هذا السؤال المحورى عدة أسئلة فرعية : ما مفهوم "الجشطالت

وكيف تطور عند ماخ وايرنفلس و فرتهايمر؟ و ما طبيعة التفسير الجشطلتي للجهاز العصبي في مقابل التفسير الآلي؟ ما طبيعة الموقف الثالث -خلاف الواقعية و المثالية -الذي ستظهره دراسة السلوك عند ميرلوبونتي؟ وما هي فلسفة الصورة عنده في ضوء نقده لمفكرى الجشطلت .

اتبعت الباحثة عدة مناهج في معالجة الموضوع : المنهج التحليلي، و المنهج التركيبي، المنهج المقارن كذلك المنهج التاريخي إن لزم الأمر .  
وكتاب ميرلوبونتي بعنوان "تركيب السلوك Structure of Behavior" والتركيب Structure هو المرادف لكلمة "جشطلت Gestalt" الألمانية ،استعمله كوفكا Koffka- أحد مؤسسى علم نفس الجشطلت Gestalt Psychology -في مقالة باللغة الإنجليزية بعنوان "الإدراك :مدخل لنظرية الجشطلت " Perception : An introduction to the Gestalt-theorie" \* .

ذكر ميرلوبونتي "أن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس Reflex هي تطبيق للتحليل الواقعي وللتفسير العلى " (6) ؛أى أن نظرية الفعل المنعكس تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة فى الاتجاه الواقعي المشار إليه سابقاً على أنه أجزاء منفصلة تربط بينها علاقة العلية ؛ومن ثم كان نقد ميرلوبونتي لنظرية الفعل المنعكس عن السلوك بالذات لأنها أحد تطبيقات الاتجاه الأول، وهو الاتجاه الواقعي فى علاقة الطبيعة بالوعى ، وقد سادت نظرية الفعل المنعكس reflex theory السيكلوجيا و الفسيولوجيا فى عصر ميرلوبونتي؛ لذلك فهو يتقدم لفحصها ونقدها أى أنه يفحص العلم من داخله ولا يقارنه بوجهة نظر أخرى كالفلسفة مثلاً.

ومن ثم سوف يبدأ البحث بعرض مفهوم " الجشطلت" وتطوره ،ثم ينتقل إلى نقد تفسير السلوك فى نظرية الفعل المنعكس، وتقديم تفسير جديد لعمل الجهاز

العصبى تأثر فيه ميرلوبونتي بمفكرى الجشطلت ، ثم عاد فنقدمهم وقدم "فلسفة الصورة Form" \* ، وستتم معالجة الموضوع كما يلى :

### أولاً : "الجشطلت Gestalt" : مفهومه و تطوره:

- أ- الإحساس المباشر بالشكل عند ارنست ماخ .
- ب- نظرية "صفة الجشطلت Gestalt quality" عند ايرنفلس.
- ج - "الجشطلت" لا يعتمد على الإحساس عند فرتهايمر.
- د- مبادئ التنظيم الإدراكى فى "نظرية الجشطلت" Principles of perceptual organization .

هـ - مبدأ "البساطة prägnanz" و نظرية المجال Field Theory.

### ثانياً: الجهاز العصبى بين التفسير الآلى و التفسير الجشطلتى:

- أ- التفسير الآلى فى نظرية الفعل المنعكس reflex theory
- ب-التصور الكلى holistic للكائن الحى Organism عند جولدشتاين.
- ج-نقد نظرية الفعل المنعكس.
- د- تصور "الجشطلت" عند ميرلوبونتي.
- هـ- الجهاز العصبى Nervous system كتركيب as a structure .
- و- العلية الآلية Linear causality و العلية الدائرية circular causality

### ثالثاً :نقد ميرلوبونتي لمفكرى الجشطلت :

أ- النظام المادى physical order والنظام الحيوى vital order و النظام العقلى human order .

ب-فلسفة الصورة Form Philosophy عند ميرلوبونتي (الاتجاه الثالث فى فلسفة ميرلوبونتي).

## أولا "الجشطلت Gestalt": مفهومه و تطوره:

### أ- الإحساس المباشر بالشكل أو الصورة عند ارنست ماخ :

فى كتابه عام ١٨٨٦ م والذى ترجم عام ١٨٩٧م بعنوان " analysis of sensations " " تحليل الإحساسات " حاول ارنست ماخ \* تفسير حقيقة سماع نفس اللحن رغم تغير النغمات التى يُعزف بها ، فأيا ما كانت النغمات التى يُعزف بها اللحن أو الآلات والسرعات التى يُعزف بها فنحن ندركه هو نفسه ، كذلك الشكل المستطيل للمنضدة قد يكبر أو يصغر أو يتغير لونه أو لون الدائرة أو المثلث.... إلخ ومع ذلك ندرك نفس شكل المستطيل ، ونفس شكل المثلث ، ونفس الدائرية... إلخ.

واللحن مثال على شكل أو صورة الزمان time-form، والمستطيل مثال على شكل أو صورة المكان space-form ، وهذه الأشكال هى إحساسات عند ماخ "تدرك مباشرة" (8) ولا نحتاج لنشاط عقلى تركيبى لفهمها، فكما ندرك اللون الأحمر مباشرة بالعين فلدينا إحساس وشعور مباشر بالشكل الذى يُعطى مباشرة برفقة الإحساسات الأخرى، حيث يميز ماخ بين نوعين من المعطى المباشر presentation فى حالة إدراك المستطيل مثلا معطى مباشر بصرى هو الخطوط التى يتكون منها المستطيل ومعطى مباشر آخر إضافى لعناصر توجد خارج العناصر المدركة بصرياً وهو مُعطى يخص "الشعور العضلى للعين muscular feelings of the eye" (9) الذى هو متطابق فى كل حالة ندرك فيها مستطيل ، ولكى يشرح ماخ هذه الفكرة يذكر مثال تأثير الوضع على إدراك الأشياء ، فالحروف d, b, p, q تمثل نفس الشكل لكن فى أوضاع مختلفة

وهى رغم ذلك تُرى بأشكال مختلفة لأن طريقة عمل عضلات العين وجهدها غير متماثل في كل حالة، وكما يرافق الشعور بالشكل المكانية الإحساس بالخطوط في حالة المستطيل كذلك يرافق الشعور بالشكل الزمني الإحساس بالنغمات ، فقد نجد الألحان التي ليس فيها حتى نغمتين جزئيتين متماثلتين أحياناً متطابقة ، وندرك الألحان المتشابهة بسهولة أكبر من إدراك النغمات المتشابهة ، وندرك الإيقاع المتشابه بسهولة أكبر من إدراك السرعة التي يُعزف بها ذلك الإيقاع يقول ماخ : " عند فحص شكلين متشابهين لكن مختلفي اللون (مثلا حرفين بنفس الحجم و الشكل لكن بلونين مختلفين ) ندرك تطابق الشكل لأول وهلة رغم اختلاف إحساس اللون إذن يجب أن يحوى الإدراك البصرى مكونات حسية متطابقة identical sensation components ، وهذه هى إحساسات الشكل المكانية التي تكون متطابقة في الحالتين "(10).

إلا أننا وجدنا إيرنفلس Ehrenfels ( ١٨٥٩ - ١٩٣٢ ) تلميذ برنتانو يصيغ مصطلح "صفة الجشطلت Gestalt quality" ليفسر وحدة اللحن رغم تغير نغماته حيث نجده يتحدث عن تلك الصفة على أنها معطى مباشر من فئة مختلفة عن الإحساسات، وإن كان هو (أى المعطى) يحتاجها لتكون أساساً له، كما رأينا فرتهايمر يعتبر أن كلاً من ماخ وإيرنفلس قد عكس طبيعة العلاقة بين الكل و الأجزاء؛ لأن ما يحدث - فى نظر فرتهايمر - فى كل نغمة إنما يعتمد على طبيعة الكل أو اللحن وليس اللحن تابعاً لمجموع نغماته، وفيما يلى عرض لآراء إيرنفلس و فرتهايمر (\*).

## ب-نظرية "صفة الجشطلت Gestalt quality عند ايرنفلس "

رأى ايرنفلس أن نقطة البدء فى نظرية "صفة الجشطلت" هى محاولة الإجابة عن السؤال ما هو اللحن ؟ الإجابة الواضحة هى أنه مجموعة النغمات الفردية التى يتألف منها لحن حيث يمكن نقل transpose نفس اللحن إلى نغمات مختلفة، فقد ذهب ماخ إلى وجود مجموعة خاصة من الإحساسات التى تصاحب النغمات (كإحساسات سمعية) لكنه لم يعرف كيف يحدد هذه الإحساسات الخاصة، يقول ايرنفلس : "يمكن أن نحس فقط بما هو حاضر لكن بشكل متزامن والحن الذى يُعترف فى زمن لا يمكن أن يكون موضوعاً لهذا الإحساس " (11) ، فالإحساس بالكل فى حالة المكان هو إحساس بنظام معين و ترتيب وتنظيم للعناصر المدركة لكن اللحن ممتد فى زمن فكيف يمكن تقسيم ذلك الإحساس بالكل إلى أجزاء يصاحب كل جزء منها كل نغمة منفصلة ؟

والخطوة الحاسمة فى تأسيس نظرية "صفة الجشطلت" هى تأكيد ايرنفلس من جانبه على وجود معطى من نوع و فئة جديدة غير الإحساسات بالنغمات هو معطى مباشر موحد unitary لهذه النغمات ،وهو يحتاج هذه النغمات بالضرورة كأساس له كما أنه ليس إحساساً عضلياً كما فعل ماخ، يتحدث ايرنفلس عن صفة الجشطلت وهى صفة خاصة بالحن تميزه عن مجرد مجموع النغمات المنفصلة ،و لا يوجد اللحن فى أى نغمة بشكل منفصل عن باقى النغمات وهو ليس مجرد تجميع واو العطف للنغمات and-summation ، فإذا كان يمكن أن يكون لدينا مركبين من إحساسات بالنغمات مكونين من نغمات مختلفة كلية لكن ينتجان نفس اللحن ، وكان من الممكن أيضاً أن يكون لدينا مركبين من إحساسات بالنغمات

مكونين من نفس النغمات لكن ينتجان لحنين مختلفين كلية إذن ليس اللحن مجرد مجموع النغمات .

ويتميز اللحن بصفة الجشطلت التي تعتمد على المعطى المركب الخاص بالنغمات الفردية يقول إيرنفلس: "أفهم بصفة الجشطلت محتوى إيجابى لمعطى مباشر لا ينفصل فى الوعى عن حضور مركب من عناصر قابلة للفصل بشكل متبادل (أى يمكن حضورها فى الوعى مباشرة بشكل منفصل عن بعضها البعض)، و أسمى هذا المركب من المعطيات المباشرة الذى هو ضرورى لوجود صفة جشطلت معين' أساساً Foundation لتلك الصفة" (12).

وتعتمد صفة الجشطلت على مركب المعطيات المباشرة (النغمات) بحيث إذا حضر هذا المركب تُعطى تلك الصفة بطبيعة الحال، ولتفسير ذلك: نفرض أن لدينا سلسلة من النغمات يسمعا شخص واعى وأن هذه النغمات وهى تدوى يسمعا ذلك الشخص كلحن واحد فهو لكى يدرك اللحن الواحد يجب أن يكون لديه انطباع لا عن النغمة التى تدوى الآن فقط بل يجب أن يحتفظ بالسلسلة الكاملة للنغمات السابقة على النغمة الحالية، و هذه السلسلة يتم الاحتفاظ بها فى الذاكرة فى معطى مباشر هو صور الذاكرة memory images و تقابل كل واحدة منها النغمة المفردة الخاصة بها .

لكن لنفرض أن نفس سلسلة النغمات السابقة قد أعطيت كمعطى مباشر لعدد من الأفراد الواعية، لكل منهم نغمة واحدة فهل يختلف الحال لهذه الأفراد عن الحال مع الشخص الواعى الواحد الذى يسمع النغمة الحالية و يحتفظ فى ذاكرته بالنغمات السابقة؟ أو هل يوجد فى المعطى المباشر لهذا الشخص الواحد أكثر مما فى المعطى المباشر لمجموعة الأشخاص الآخرين؟ الإجابة أن صور الذاكرة

تلك تعمل كأساس لظهور محتوى معين هو الجشطلت أو الكل الذى لا يظهر إلا فى حضور ذلك الأساس.

يقول إيرنفلس : "كانت الخطوة الحاسمة فى تأسيس نظرية صفة الجشطلت هى التأكيد من جانبى على أنه إذا حضرت صور الذاكرة للنغمات المتتابعة كمركب واعي متزامن simultaneous consciousness-complex إذن هناك معطى مباشر من نوع مختلف يمكن أن ينشأ فى الوعى ، إنه معطى موحد يرتبط بطريقة خاصة بالمعطيات بالمباشرة المتعلقة بمركب النغمات المعنى و ينتمى المعطى المباشر لهذا الكل الموحد لنوع جديد شاع له استعمال اسم محتوى قائم على أساس founded content ، وما هو جوهرى بالنسبة لعلاقة ذلك المحتوى وأساسه هو أنها علاقة تحديد أحادى الجانب للسابق (المحتوى القائم على أساس) من قبل اللاحق (الأساس)" (13).

### ج- " الجشطلت " لا يعتمد على الاحساس عند فرتهايمر:

بينما اعتمدت صفة الجشطلت عند إيرنفلس على مركب المعطيات المباشرة التى كانت أساساً له فإننا نجد الإحساس بالكل الموحد أو الجشطلت يحدث بدون مثير موضوعى معين عند فرتهايمر وهذا ما وجدناه فى ظاهرة الفاي Phi . Phenomenon

فى حجرة مظلمة وضعنا دائرتين صغيرتين على مسافة معينة بينهما ، و فى الدائرتين مصباحان يضيئان ويطفآن بالتتابع ، فإذا كان الفاصل الزمنى بين الإضاءة والإطفاء 60 ملى ثانية رأينا ضوءاً أو كرة تتحرك ذهاباً و إياباً بين الدائرتين، وإذا كان الفاصل الزمنى بين الإضاءة و الإطفاء 30 ملى ثانية أو أقل

رأينا الضوعين يضيئان في نفس الوقت أما لو كان الفاصل الزمني 200 ملي ثانية رأينا ضوعين منفصلين .

إذن لدينا في حالة الفاصل الزمني الأول معطين حسيين منفصلين عن ضوعين منفصلين ولدينا إدراك لضوء واحد يتحرك حركة متصلة ذهابًا وإيابًا، ورغم أننا لا نعطي معطى حسي عن دائرة أو كرة تتحرك في المسافة بين الضوعين إلا أننا ندرك دائرة أو كرة تتحرك من اليمين لليساار أو العكس أى أن لدينا خبرة ظاهرية غير حقيقية تُعطى للمشاهد عن الحركة ، والحركة هنا حركة خالصة بدون مثير موضوعى سبب الإحساس بها، إلا أنها مع ذلك خبرة نشأت عن عناصر محسوسة معينة (رؤية الضوعين) وبالتالي لا يمكن فهم هذه الخبرة بتحليلها لمكوناتها على طريقة فونت Wilhelm Wundt (١٨٣٢-١٩٢٠) (14).

وتعنى كلمة جشطلت Gestalt التركيب أو الترتيب Structure و التنظيم Organization. والمثيرات لدى مدرسة علم نفس الجشطلت -التي أسسها فرتهايمر وكوفكا وكولر- إنما تعطى نفسها علي أنها كل أو جشطلت، أى أن الضوعين السابق الإشارة إليهما واللذين تمت إضاعتها وإطفاؤهما بسرعة معينة، وفى زمن معين إنما يشكلان كلاً منظماً تتفاعل أجزاؤه، ويعتمد بعضها على بعض وليست مجرد عناصر منفصلة، إنها هى ذاتها كل منظم نو معنى ، متفاعل الأجزاء وعلى هذا الأساس أدركنا حركة كرة متصلة رغم عدم وجود انطباعات عن تلك الكرة، فالحركة هذه هى إدراك ومعنى هذا الكل بأجزائه فى تلك الظروف ، من ثم فإن هذا الكل هو كل فنومولوجى أى هو خبرة ، فالكل كل فى الخبرة فالدجاجة عند كولر التى دربت على الاستجابة لكومة القمح التى مُيزت بلون رمادى هو الأفتح وجد أنها فيما بعد تستجيب للكومة الأفتح لونها حتى لو عرض عليها كومتان

للمقم الأعقم فيهما بنفس درجة اللون الأفتح في الاستجابة السابقة (15)، إذن لم تنحصر استجابة الدجاجة في درجتين معينتين للون إنما في العلاقة بين الكومتين أو في الكل الذي جمعهما معا.

#### د-مبادئ التنظيم الإدراكي Principles of perceptual organization:



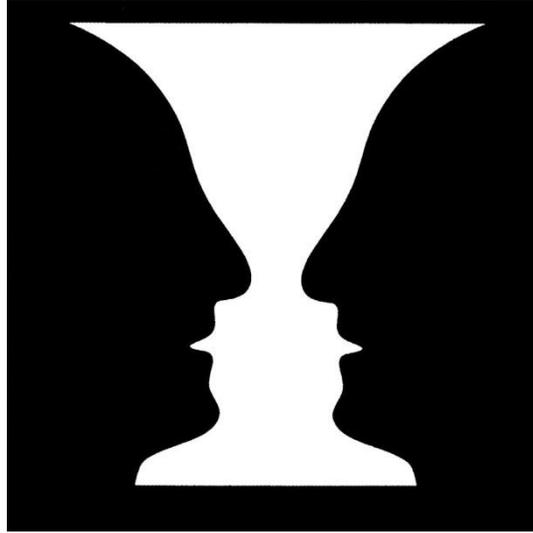
شكل (١)

لقد تأثرت سيكولوجيا الجشطالت بنظرية المجال في الفيزياء (16) وهي نظرية ترى أن الأشياء داخل المجال ليست منعزلة إنما ترتبط ببعضها البعض و تشكل كلاً غير قابل للانفصال عن أجزائه كذلك الخبرة هي مجال لأجزاء متفاعلة مثلاً الشكل (١) يوضح كيف يعتمد توزيع اللون على التكوين الكلى للشكل، فالمستطيلان متطابقان لكننا في المستطيل الأيسر ندرك الدائرة داخل المستطيل واللون الرمادى فيها متجانس، أما في الدائرة في المستطيل الأيمن ومع إضافة الخط الأسود في المنتصف ظهر اللون الرمادى في نصف الدائرة الأيمن ذو الخلفية البيضاء أعقم من نفس اللون الرمادى في نصف الدائرة الأيسر ذو الخلفية الرمادية الغامقة، إذن مكونات الإدراك هي كل تعتمد أجزائه وتتفاعل مع بعضها البعض وهذا التفاعل هو الذى خلق هذا المظهر.

وإذا كان الشيء يعرض نفسه في الوعى ككل أو جشطالت فمن جهة يجب دراسة الظواهر الإدراكية مباشرة وبدون تحليلها أو تقسيمها؛ لأن هذا التقسيم

للجشطلت يفقدنا معنى الظاهرة ذاتها ، والعناصر التي تنتج من تحليل الجشطلت هي نتاج التأمل والتجريد وهي تشتق من الخبرة المباشرة التي علينا العودة إليها وتفسيرها . وبتلك الخبرة المباشرة لن نجد تجمعات من الإحساسات الفردية الذرية على طريقة فوننت إنما نجد الشيء كاملاً .

ومن جهة أخرى علينا التوقف عند الطرق التي يتم فيها تجميع الإثارة الحسية في نموذج أو في كل له معنى، فالإنسان بطبيعته يدرك العناصر المحسوسة طبقاً لمبادئ التنظيم الإدراكي principles of perceptual organization وهي مبادئ أو قوانين حددها علماء نفس الجشطلت لوصف الطرق التي يتم فيها جمع الإثارة الحسية في نموذج أو في كل ذو معنى.

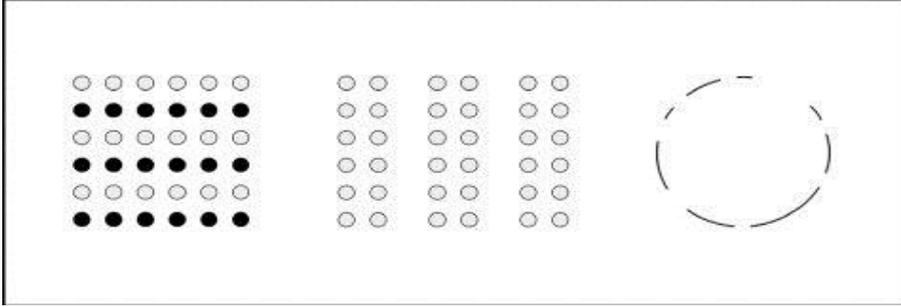


شكل (٢)

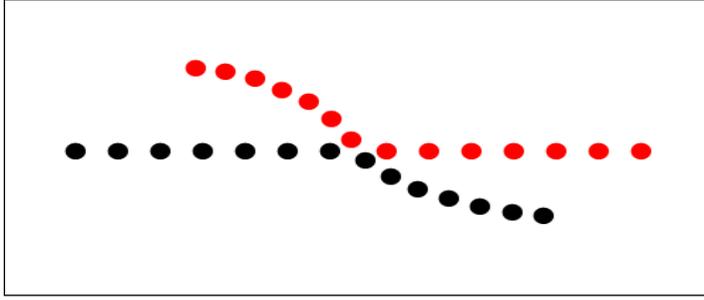
من هذه المبادئ مبدأ الشكل- الخلفية figure-ground أى تقسيم المدركات إلى شكل و خلفية : ما أركز عليه هو الشكل والباقي هو الخلفية، فكما هو واضح فى شكل (٢) إذا ركزنا على الكأس الأبيض كانت الخلفية سوداء غير محددة تمتد وراء الشكل المحدد للكأس، أما إذا ركزنا على الصورة الجانبية للوجهين أسودى اللون اختفى الكأس وكأنه خلفية بيضاء غير محددة ، وإذا رأينا شكلاً غير كامل نميل بطبيعتنا لإكمال الفراغات وإدراكه حسب مبدأ الإغلاق principle of closure فى صورة كاملة، فالرسم على يمين شكل (٣) هو لدائرة لا لمجموعة نقاط منحنية .

وحسب مبدأ التقارب principle of proximity نميل لجمع العناصر القريبة من بعضها البعض فى كل واحد، فنحن ندرك الدوائر فى الرسم وسط شكل (٣) على أنها ثلاث مجموعات على هيئة ثلاث مستطيلات موضوعة وضعاً رأسياً أما فى الرسم الواقع يسار شكل (٣) فنحن ندرك الدوائر فى صفوف أفقية بسبب التشابه بينها principle of similarity.

أما مبدأ المصير المشترك principle of common fate فوفقاً له نميل لجمع العناصر التى تجرى فى نفس الاتجاه معاً، فما نراه فى شكل (٤) هو خط مستقيم مؤلف من دوائر حمراء وسوداء يقطعه خط منحنى مؤلف أيضاً من دوائر حمراء وسوداء وليس شكل للعدد ثمانية كتب مرتين متقابلين عند رأسيهما .



شكل (٣)



شكل (٤)

#### ه- مبدأ البساطة :pragnanz:

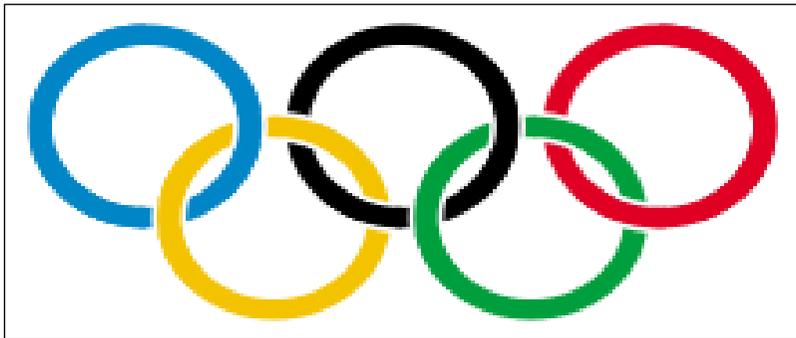
يعنى أننا نميل لإدراك الأشكال المركبة فى أبسط صورها الممكنة، وهذا الشكل البسيط هو المقابل فى الوعى لاتجاه مجال القوى فى الدماغ لتحقيق التوازن .Equilibrium.

كما سبق وأوضح علماء نفس الجشطلت أن الخبرة الفنومولوجية هى مجال Field من أجزاء متفاعلة وليست مجموعة وحدات (إحساسات ) منفصلة غير متفاعلة، وكذلك العمليات الفيزيائية فى الدماغ Brain هى أيضاً مجال من أجزاء متفاعلة، فالدماغ ليس مجرد ترابط حسى حركى ( المستقبل الحسى أو عضو الحس

يستقبل الإثارة الحسية وتنقل الإثارة إلى المراكز العصبية فتتحول الإثارة إلى الأعصاب المستجيبة وتنتهي بانقباض العضلات أو إفرازات الغدد (إنما هو مجال كهربى مركب يتشابه فى تركيبه Structure وعلاقة أجزائه مع تركيب الخبرة، وهذا هو ما يدعى التماثل فى الشكل Isomorphism، أى أن الحقائق السيكولوجية والأحداث فى الدماغ التى تشكل أساساً لها وتفسرها إنما تتشابه مع بعضها فى سمات التركيب.

يقول كولر: " يوجد جزء واحد فقط من العالم هو الذى تكون عملياته على اتصال وثيق بما يحدث فى الإدراك وهى عمليات قشرة الدماغ التى تفسر كيف يتحول مجرد تلاحق شيئين يعرضان فى أماكن مختلفة\* إلى حركة شىء واحد". (17).

ويقول أيضا: " إذا تحدثنا عن خواص معينة فى مجال الإدراك تشبه خواص عمليات القشرة الدماغية الموازية لها فنحن لا نشير إلى الصفات الحسية حيث لا نجد مثلا صفات أزرق أو أصفر أو أحمر فى العمليات الفسيولوجية للقشرة البصرية للدماغ إنما نشير إلى خصائص تركيبية structural qualities" (18).



شكل (٥)

إن الدماغ محل لقوى فيزيائية لها خواص المجال، والإثارة الحسية تؤدي إلى تفعيل عمل ذلك المجال، وإذا كانت القوى المكوّنة لمجال الدماغ متوازنة كانت العملية مستقرة و بقيت كذلك، والنتيجة أن الإدراك الناتج عن عملية الدماغ هذه سوف يتطابق بدقة مع الإثارة الحسية، لكن إذا كانت القوى المكوّنة لمجال الدماغ غير متوازنة، فسوف تتغير عملية الدماغ حتى تحقق حالة من التوازن وسوف يوازى هذا التغير أن يصبح الإدراك الناتج أكثر بساطة واتساقاً من الإثارة الحسية الواردة للدماغ (19) كما يصبح غير متطابق مع المثير الحسى، وبالتالي فعملية استعادة التوازن بين قوى مجال الدماغ هي السبب فى الإدراك البسيط أو إدراك الشيء فى أبسط صورته .

فمثلا فى حالة إدراك الدوائر فى شكل (٥) يميل الإنسان بطبيعته لإدراك الشكل على أنه دوائر متداخلة لا على أنه مجموعة خطوط منحنية، فالإثارة الحسية التى وردت للدماغ أدت إلى عدم توازن بين قوى مجال الدماغ ما أدى إلى تغيير فى عملية الدماغ نتج عنه إدراك أكثر بساطة و اتساقاً للمثير الحسى، وهو إدراك الشكل (٥) على أنه دوائر متداخلة لا على أنه خطوط منحنية .

يقول كولر : " إذا وجد كثير من علماء الفيزياء أن توزيع المواد والعمليات فى النظام الفيزيائى physical System \*يميل لأن يصبح منتظماً regular بسيطاً simple ومتناسقاً symmetrical إذا اقترب النظام من التوازن أو الاستقرار، وإذا كان علماء نفس الجشطلت المبكرين وبدون علمهم بسلوك النظام الفيزيائى قد اكتشفوا أن نفس الشيء يحدث مع إدراك الإنسان، فلماذا يكون التشابه مستحيلا بين الحقيقة الفيزيائية وحقائق الإدراك إذا كانت الحقيقة الفيزيائية التى نتحدث عنها هى عملية فسيولوجية تحدث فى قشرة الدماغ" (20).

## ثانياً الجهاز العصبى بين التفسير الآلى والتفسير الجشططى:

### أ- نظرية الفعل المنعكس Reflex theory :

ذكر ميرلوبونتي "أن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس classical theory of the Reflex هى تطبيق للتحليل الواقعى realistic analysis وللتفسير العلى causal explanation " (21) أى أن نظرية الفعل المنعكس تفسر السلوك مثل تفسير الطبيعة فى الاتجاه الواقعى المشار إليه سابقاً على أنه أجزاء منفصلة تربط بينها علاقة العلية ،ومن ثم كانت معالجة ميرلوبونتي لنظرية الفعل المنعكس عن السلوك بالذات لأنها أحد تطبيقات الاتجاه الأول، وهو الاتجاه الواقعى فى علاقة الطبيعة بالوعى وقد سادت نظرية الفعل المنعكس reflex theory السيكولوجيا و الفسيولوجيا فى عصر ميرلوبونتي ؛ لذلك فهو يتقدم لفحصها ونقدها أى أنه يفحص العلم من داخله ولا يقارنه بوجهة نظر أخرى كالفلسفة مثلاً.

وهذا التحليل الواقعى للسلوك سعياً وراء الموضوعية وتقديم تصور علمى للسلوك قد وضع نفسه فى مواجهة معطيات الوعى العادى الساذج naive consciousness ويشرح ميرلوبونتي ذلك بمثال : فإذا كنت فى غرفة مظلمة وظهرت بقعة ضوء على الحائط وتحركت عليه ، أقول إنها جذبت انتباهى فحولت نظرى إليها وسحبت انتباهى معها فى كل تحركاتها، توجه نظرى نحو الحائط هو سلوك له هدف وهو تتبع بقعة الضوء هذا ما أشعر به كإنسان عادى لكن العلم يرى أن الضوء الذى أراه والقصد الذى أسعى وراءه هى مجرد مظاهر تخفى تحتها حقيقة من نوع آخر هى الضوء الحقيقى real light أو الحركة الاهتزازية التى لا تعطى فى وعىي أبداً، و لن تكون هدفاً يتجه نحوه سلوكى والتى يمكن تصورها كعلة تؤثر فى جسمى(22) .

فالضوء الحقيقي موضوع العلم هو الفاعل الفيزيائي الذي يؤثر في شبكية العين وحيث إن هذه مؤلفة من طبقات ومن عدة أنواع من الخلايا الحساسة للضوء الخافت أو الشديد فإن المثير وهو الضوء إنما ينحل إلى عدة عمليات يؤثر كل منها في طبقة أو نوع من أنواع خلايا الشبكية، وكل عملية منها تستمر لفترة من الزمن هي مجموعة حقائق فيزيائية.

ويسقط الضوء على الأشياء فينعكس منها إلى العين ويمر من القرنية الشفافة إلى عدسة العين حيث ينكسر فيتجمع في الشبكية التي توجد في مواجهة هذه العدسة في الجزء الخلفي للعين، وكرد فعل لتأثر الشبكية وخلاياها الحساسة للضوء تعمل عضلات معينة للعين بشكل آلي بحيث تكيف العين نفسها مع حركة الرأس و مع مستوى الإضاءة لتركز على الشيء المرئي وتراه بوضوح . ولن يتم هذا التركيز على الشيء إلا إذا انعكست صورة الشيء المرئي وسط الشبكية بفضل مرونة عضلات العين هذه ، فالإجابة عن السؤال لماذا تكيف العين نفسها على هذا النحو؟ لن تكون "بقصد" رؤية بقعة الضوء؛ لأننا لا نجد القصد و النية في التحليل العلمي الموضوعي إنما الإجابة لأن هناك ارتباط مسبق بين عضلات العين من جهة وبين الشبكية وخلاياها العصبية من جهة أخرى بحيث إذا نبه الضوء هذه الخلايا أدى ذلك إلى صدور فعل آلي معد مسبقا هو الفعل المنعكس لتثبيت العين على الشيء المرئي.

وكما انحل المثير في التحليل العلمي الموضوعي للسلوك إلى عدة عمليات خارج بعضها البعض، فكذلك ينحل المستقبل للمثير إلى أجزاء منفصلة خارج بعضها البعض هي خلايا الشبكية وما يرتبط بها من عضلات العين ، ينبه كل جزءاً من المثير جزءاً من المستجيب، ويؤلف مجموع الاستجابات المنفصلة

الاستجابة المركبة ، والمستقبل سلبي ينفذ ما يفرضه الفاعل الفيزيائي الكيميائي، فالسلوك إذن هو مجرد مجموعة من الوحدات الذرية المستقل بعضها عن بعض، إنه المجموع الكلي لعدد من الاستجابات الدقيقة التي ترتبط علياً في علاقة واحد لواحد مع عدد من التنبيهات الدقيقة (التي يتكون منها المثير) لأن ما يحدث هو إثارة متتابعة لسلسلة من المستقبلين المنفصلين .

على ذلك ينحل سلوك الكائن الحي وعلّة هذا السلوك- حسب تلك النظرية الكلاسيكية للسلوك- إلى أجزاء بسيطة خارج بعضها البعض ، بحيث تنتج نفس العلة البسيطة (آخر ما ينتهي إليه نفس تحليل العلة ) دائماً نفس النتيجة البسيطة، ويقول ميرلوبونتي : "بمجرد ما نتوقف عن وضع الثقة في المعطيات المباشرة للوعي ونحاول تكوين تصور علمي عن الكائن الحي يبدو أننا نصل إلى النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس، أي إلى تحليل المثير و الاستجابة إلى كثرة من العمليات الجزئية التي تكون خارج بعضها البعض في المكان و الزمان " ( 23). وينتقد ميرلوبونتي النظرية الكلاسيكية للسلوك التي تقوم على فكرة الفعل المنعكس، وترى الكائن الحي أجزاءً وعمليات خارج بعضها البعض ينتقدها مسترشداً بالاكشافات العلمية التجريبية خاصة لجولدشتاين \* في كتابه "الكائن الحي The Organism".

#### ب- التصور الكلي holistic للكائن الحي Organism عند جولدشتاين:

تأثر ميرلوبونتي بجولدشتاين، فبينما كان جولدشتاين يدرس حالات الجنود الذين أصيبوا أثناء الحرب العالمية الأولى بإصابات في الدماغ لاحظ فشل المنهج المعاصر له في فهم تأثير الإصابات وتكيف المريض معها فرأى أن هناك منهجاً

جديداً يلائم دراسة سلوك الكائن الحى الطبيعي و المرضى وهو المنهج الذى يتناول الكائن الحى ككل .

كان المنهج السائد فى البيولوجيا هو منهج التحليل dissecting الذى يستخدم نموذج العلم الطبيعى فى الفيزياء و الكيمياء القائم على تقسيم الموضوع إلى أجزاء ودراسة كل منها منفصلاً عن الآخر، وبتطبيق هذا المنهج فى البيولوجيا وجدنا المنهج يصف الكائن الحى على أنه مجموعة مثيرات واستجابات آلية منفصلة "والأساس المثالى لتلك المعرفة هو التجربة التحليلية؛ لأننا نعرض الكائن الحى فيها لمثير مفرد يؤثر فى عضو واحد ، ونستخدم وسائل متنوعة للتحكم فى الظروف حيث يحدث رد الفعل الذى يلائم هذا المثير المعين وذلك فى عزلة كاملة تقريباً عن كامل الكائن الحى" (24).

رأى جولدشتاين أن منهج التقسيم هذا سيصلح إذا كان الكائن الحى فعلاً مجموع أجزاء يمكن دراستها منفصلة عن بعضها البعض لكن المنهج لم ينجح؛ لأن الكائن الحى ليس مجرد ذلك المجموع من الأجزاء، إنه كل ، وكل جزء فيه يعمل بصورة طبيعية داخل ذلك الكل ، وستؤدى طريقة الفصل هذه إلى تغيير خواص ووظيفة كل جزء وبالتالي بهذا المنهج لن نكتشف وظيفة الأجزاء فى الحياة الطبيعية (25).

ويبدأ جولدشتاين من الحقائق التى يقدمها العلم الطبيعى ويفسرها بمنهجه الكلى holistic - الذى أصبح أكثر ملاءمة من منهج التحليل العلمى - ولهذا المنهج الكلى ثلاث مصادرات: عدم تفضيل أى ظاهرة على غيرها عند وصف الكائن الحى، والوصف الصحيح لهذه الظواهر ، وعدم فصل الظاهرة عن كل الكائن الحى وعن البيئة و السياق التى تقع فيه .

ويحاول جولدشتاين بمنهجه الكلى الوصول إلى المعرفة البيولوجية Biological knowledge أى إلى الوصول لفهم الكائن الحى ككل وعلاقته بالبيئة لا على أنه مجموعة منفصلة من عمليات تقع داخل الكائن الحى يقول: " المعرفة البيولوجية هى نشاط خلاق creative activity متواصل تدخل به فكرة الكائن الحى أكثر فأكثر إلى مجال خبرتنا " ( 26 )، إذ فهم جولدشتاين بمنهجه أن الكائن الحى جشطلت Gestalt مستخدماً الفكرة من علماء نفس الجشطلت الألمان لكنه اختلف عنهم؛ لأن هذا الجشطلت عنده لم يكن كلاً حقيقياً موجوداً خارج الفكر إنما كان فكرة Idea هى التنظيم الكيفى qualitative organization للكائن الحى ( أى الكل الواحد الذى نفهم فيه مجموعة العمليات ) و تأديته لوظيفته ككل holistic functioning "هذه الفكرة التى يزيد تحديدها دقة بينما يتقدم العلم " (27). فالكائن الحى عند جولدشتاين كل أو جشطلت ذو طبيعة أو تركيب كيفى لا كمى أى لا نفهمه بتجميع وضم أجزائه لبعضها البعض ، إن له تركيب داخلى intrinsic structure كيفى نبلغه بنشاط عقلى معين هو نشاط خلاق creative activity قائم على أساس معطيات تجريبية نصل إليها بمنهج التحليل ، و بهذا النشاط الخلاق نكوّن فكرة عن طبيعة الكائن الحى كجشطلت بالتدرج مع اتساع الخبرة بالظواهر البيولوجية.

إن ذلك التنظيم الكيفى هو المعيار الذى يحدد أى الظواهر - التى يقدمها منهج التحليل العلمى - حقيقة بيولوجية وأيها ليس كذلك ، وهذا التحديد لا نصل إليه بالإستقراء أو الاستنباط إنما بالنشاط الخلاق الذى نسميه ideation تكوين فكرة و الذى نصل فيه -على أساس الحقائق التجريبية- إلى الخبرة بالكائن الحى التى لا تحوى أى شىء غامض لكننا نقترّب فيها تدريجياً

لماهية الكائن الحى على نحو ما يحدث عند تعلمنا مهارة مثل ركوب الدراجة\* (28)

يقول جولدشتاين: "تعتمد قيمة الظواهر المنفصلة التى يقدمها المنهج التحليلى فى فهم الكائن الحى على تصورنا للأخير، ومن ثم تفقد هذه الظواهر سمة كونها حقائق واضحة بذاتها وتصبح الحقائق التى تعتقد البيولوجيا أنها أساس المعرفة مشكوكاً فيها، وبالتالي ثبت فى تاريخ العلم أن كثيراً من الحقائق لا معنى لها فى تقدم المعرفة، ويستبعد ذلك الشك الخطأ الموجود عن طريق تمهيد السبيل لوضع السؤال الأساسى وهو: أى الظواهر تعتبر حقائق بيولوجية وأبها لا يعتبر كذلك؟ ومدى الارتباط يحدده فقط تصور الكائن الحى فى تنظيمه الكيفى وفى عمله ككل" (29)

ماهية الكائن الحى أو طبيعته هى السمة الأساسية له التى يؤثر فقدانها على هويته لا على وجوده، ويتحدث جولدشتاين عن ثوابت constants\*\* هذه الطبيعية أو الماهية ويحددها بأنماط السلوك المفضل للكائن الحى preferred behavior يقول جولدشتاين: "يمكننا دراسة كائن حى فى وقت ما بالمنهج التحليلى المعتاد على أنه مكون من أجزاء و أعضاء وفى وقت آخر ندرسه فى سلوكه الطبيعى، فلا نجد فى الحالة الأخيرة على الإطلاق كل أنواع السلوك التى نتصور أنها ممكنة على أساس الدراسة الأولى، وبدلاً عن ذلك نجد فقط أنواعاً مختارة معينة هى الموجودة، و هذه الأنواع هى ما سوف أصنفها بالسلوك المفضل" (30)، الكائن الحى كل له أنماط مفضلة من السلوك.

### ج- نظرية الفعل المنعكس غير مقبولة على أسس من العلم نفسه وعلينا

#### البحث عن تفسير غير ألي لعمل الجهاز العصبى:

لقد اتضح لميرلوبونتي بالدليل العلمى ذاته أن التفسير الألى الذرى للسلوك تفسير معيب حيث رأى جولدشتاين وغيره من الفسيولوجيين أن المستقبل الحسى حتى للحيوان إنما يستجيب للمثير ككل لا لعناصره المنفصلة وأن صورة المثير ككل إنما تؤثر فى الاستجابة : فقد يتنوع محتوى المثير بدون أن تنتوع الاستجابة إذا كان لهذا المحتوى نفس التنظيم الزمانى المكانى(أى نفس الصورة).

وفى حالة مقارنة المثيرات وجد أن الصورة أكثر من الطبيعة الفيزيائية هى ما تحدد الفعل المنعكس الناتج، وهناك أفعال منعكسة مختلفة تحدث اعتمادًا على شكل المثير وطريقة عمله لا على عناصره : فينبسط صيوان أذن القط عند ثنيه ويتحرك هذا الصيوان حركات رعشة قليلة سريعة استجابة للدغدغة ، كما تعتمد طبيعة الاستجابة بشكل كلى على طريقة الإثارة الكهربية إن كانت قوية أم ضعيفة، وفى أغلب الأحيان لا يمكن التنبؤ بنتيجة المثير المركب على أساس عناصره المكوّنة (31) .

ومن ثم لا يمكن اعتبار تأثير المثير المركب مجرد مجموع لآثار كل عناصره المكوّنة (ليس المثير مجرد مجموع عناصره ) يقول ميرلوبونتي " فى الغالب يؤثر المثير بتنظيمه المكانى وإيقاعه أكثر مما يؤثر بخواصه الأولية " (32) ، إذن عندما يدرك الإنسان المثير لا يدركه إلا ككل له معنى .

ومن جهة أخرى لا نجد فى الحقيقة هذه الروابط الثابتة بين مثير بسيط مفرد و استجابة تحدث دائماً عنه؛ لأن المثير الأولى لا يمكن عزله عن السياق الذى يوجد فيه، واستجابة الحيوان تعتمد على المثيرات الأخرى الحاضرة فى نفس

السياق كما تعتمد أيضاً على المثيرات الماضية التي خضع لها الحيوان وعلى النشاط الحالى الذى يقوم به ، ومن ثم فإن السلوك ليس مجرد مجموعة من الأفعال المنعكسة البسيطة .

ويتذكر ميرلوبونتي أن الفسيولوجيين لم يتمكنوا أبداً من استبعاد استجابة الكائن الحى من تعريف المثير، والمثال المألوف على ذلك هو "المثير المؤلم painful stimulus"، وهذا التضمن للكائن الحى فى تعريف المثير يعنى أن الكائن الحى يفرض شروطه كمتغير بين المثير المعطى و الاستجابة المتوقعة ،ومن ثم لا يمكن اعتباره سلبياً (33).

ثم إن النظرية الكلاسيكية قد فشلت فى تفسير النظام Order فى الفعل المنعكس أى علاقة (و تكيف) الاستجابة مع المثير، فحتى لو وجدنا مثيراً محدداً و مستقبلاً محدداً و أيضاً مسارات عصبية محددة ،فهذه كلها لن تفسر تكيف الفعل المنعكس مع المثير حيث تعتمد الحركة المطلوبة فى كل حالة على الوضع الذى تكون عليه الأعضاء وهو وضع يتغير، فمثلاً فى الفعل المنعكس للهرش يعتمد الانقباض العضلى الضرورى لوصول يدي للموضع المثار على إذا ماكانت يدي ممتدة نحو اليمين أو نحو اليسار، فهل نتخيل أن هناك عدداً من المسارات المعدة مقدماً فى الموضع المخدوش قدر ما هنالك من أوضاع ممكنة لليد ؟ وحتى لو تخيلنا ذلك فمزال غير مفهومًا كيف يختار التدفق العصبى من بين هذه المسارات المسار الذى يسبب الحركة الملائمة فى الموقف المعنى إن لم يكن هناك تناسق وعلاقة بين الموضع أو العضو المثار وبين العضو المستجيب (34).

إن الفشل فى تفسير تكيف الاستجابة مع المثير من جانب نظرية الفعل المنعكس إنما يرجع إلى تمسكها بالتفسير الآلى العلى "فالآلة قادرة فقط على

العمليات التي أنشئت من أجلها ، وفكرة الآلة القادرة على الاستجابة لمجموعة متنوعة غير محددة من المثيرات هي فكرة متناقضة ؛لأن التشغيل الآلى automation إنما يتحقق فقط بإخضاع عملية التشغيل لشروط معينه يتم انتقائها" (35).

تأكد لنا مما سبق أننا لا نجد الفعل المنعكس الأولى أى المثير المفرد الخالص الذى ينتج دائماً نفس الاستجابة الحركية ومن ثم لا يُحل الجهاز العصبى للإنسان (الحواس المستقبلية و الأعصاب المستجيبة ) إلى مجموعة مسارات فردية منفصلة تربط الحواس المستقبلية بالعضلات المستجيبة، حيث لا تفاعل بين الأولى والثانية وحيث تكون العلاقة بينهما علاقة آلية أحادية الجانب، ومن ثم لاوجود لعلية آلية بين العضو الذى يستقبل الإثارة والعضو المستجيب بحيث تحدث نفس الإثارة دائماً نفس الاستجابة ويمكن التنبؤ بالثانية دائماً من وجود الأولى .

وكما انتقد ميرلوبونتي التفسير الآلى للسلوك انتقد نظرية الإشرط الكلاسيكى classical conditioning لبافلوف \* E. Pavlove التى اعتبرها نموذجاً للتفسير الذرى للصور الأعلى للسلوك خاصة التعلم، حيث فسرت هذه النظرية التعلم بسلسلة من المحاولات يقوم بها الحيوان عند وجوده فى مواقف جديدة بهدف الوصول لغاية معينة (فتح القفص مثلا و الحصول على الطعام خارجه) هذه المحاولات ليس بينها وبين الموقف أى علاقة داخلية أو أى قصد، وبالتالي تكون أفعال الإثارة و الاستجابة سلسلة من الأحداث خارج بعضها البعض ليس بينها إلا علاقات التجاور الزمنى المباشر، فالمحاولة التى يصحبها النجاح فى تحقيق الهدف يتم تثبيتها مستقبلاً وتلك التى لم تحققه يتم استبعادها ، وحيث توجد مقدما روابط بين المستقبل و المستجيب يتم استدعاؤها فهذا ما يفسر استدعاء الموقف لمحاولات

جديدة مع فشل المحاولات الأولى ، ومن ثم فمن وجهة نظر نظرية الفعل الشرطي لا يحقق التعلم أو نمو السلوك أى شىء جديد هو فقط ينقل لمثير معين القدرة على إحداث حركات معينة تُعطى شروطها الحركية مقدما (36) .

لكن التعلم بالنسبة لميرلوبونتي ليس مجرد تثبيت لحركات معينة كاستجابة لموقف معين، فالتعلم ليس أبداً أن تكون قادراً على تكرار نفس حركة الجسم gesture لكن أن تكون قادراً على تقديم استجابة متكيفة مع الموقف بطرق مختلفة (لها علاقة بالموقف) مثل القط الذى فتح القفص بسحب الخيط بمخالبه فى أول المحاولات الناجحة لتحقيق الغرض، ثم بعد ذلك سحب الخيط بأسنانه أو بذيله، والطفل الذى تعلم التمييز بين اللونين الأحمر و الأخضر يكون قادراً بسرعة على التمييز بين أى لونين بل وبين كل الألوان، وبالتالي ليست الاستجابة المكتسبة استجابة تخص موقف فردى معين ؛ لأن ما يُكتسب هى القدرة aptitude على حل سلسلة من المشكلات لها نفس الصورة و التركيب ، وهذا ما يحدث فى " التغيير العام للسلوك الذى يظهر فى كثرة من الأفعال يتتوع محتواها ويظل معناها ثابتاً " لأن القدرة المكتسبة هى قدرة بالنسبة لتركيب الموقف (37).

"ويجب التغلب على الخارجية المتبادلة الكائن الحى و البيئة.. ومن ثم فإن هناك متضايفين يجب استبدالهما بهذين الحدين(الكائن الحى و البيئة) اللذين تم تحديدهما فى عزلة عن بعضهما البعض : البيئة milieu و القدرة aptitude هما قطبان للسلوك ويشاركان فى نفس التركيب (38).

### د- تصور الجشطلت Gestalt:

المشكلة فى النظرية الكلاسيكية لتفسير الجهاز العصبى هى عدم قدرتها على تفسير تكيف الاستجابة مع المثير وهذا يرجع لتمسكها بالوسيلة المعدة مسبقاً، والتي تجعل علاقة المثير بالاستجابة علاقة عرضية آلية، فمن منظور النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس ليس ذلك التكيف خاصية للأفعال ذاتها لكنه مجرد انطباع تعطيه الأفعال للمشاهد ولا تتحدد الاستجابات بالطبيعة الداخلية للموقف وإنما بأدوات الربط الموجودة مسبقاً....وبالتالى فالعلاقة بين الموقف والاستجابة هى علاقة عرضية بشكل كامل "(39)، وما نحتاجه هو تفسير بديل يسمح بفهم أفضل للجهاز العصبى وارتباط صفات الموقف بالاستجابة و هو ما قدمته نظرية الجشطلت .

لقد وجد ميرلوبونتى فى تصور الجشطلت أو التركيب أو الصورة فى علم نفس الجشطلت تفسيراً يسمح بفهم أفضل لعلاقة المثير و الاستجابة فى الكائن الحى لا يستبعد إمكانية التكيف والتفاعل بينهما حتى لو كانت مثيرات لم يواجهها الكائن الحى من قبل قط وهو ما عجز عنه التفسير الآلى.

تتكون الصورة Form أو التركيب Structure (حيث يعادل ميرلوبونتى بينهما فى كتاب تركيب السلوك)(40) بالتحديد المتبادل للأجزاء لبعضها البعض ، وعلاقة التفاعل المتبادل داخل الكل هذه هى الأهم وليست الأجزاء : فالأجزاء كلها قد تتغير ويبقى الكل ما هو . ومن ثم إذا تغير جزء تغيرت باقى الأجزاء لأنه لا بد من استعادة التوازن؛ أى لا بد من وجود علاقة للجزء المتغير مع باقى الأجزاء وهو ما قد يسبب تغير الأجزاء لأجل الاحتفاظ بالكل ، إن الصورة أو التركيب إنما هى كل دينامى نشط فعال لأنها علاقة تبادل حية بين الأجزاء ينظم فيها الكل نفسه

بنفسه ولا يحتاج لما هو خارجه لكي ينظمه ، وهي وحدة فردية لأنه إذا وجدت الصورة وجد التفرد أى وجدت العلاقة المعينة بين الأجزاء هذا ما يدركه التفكير الدائري Circular thinking لا التفكير الآلى.

و يوجد ترابط داخلى بين أجزاء الصورة أو الكل حيث إنها تتبادل العلاقة مع بعضها البعض بل وتفهم بعضها البعض بحيث تحقق نوعاً من التوازن الكلى الذى يحافظ على وجود الصورة أو التركيب نفسه ، يقول ميرلوبونتى: " تملك الصورة خواصاً أصلية بالنسبة لخواص الأجزاء التى يمكن فصلها عنها ، ويتحدد كل جزء فى الصورة بمجموع الأجزاء الأخرى ، وتعتمد القيمة النسبية للأجزاء على حالة التوازن الكلى الذى تكون صيغته سمة أساسية للصورة " (41) .

المهم فى الصورة هو العلاقة بين الأجزاء التى قد تظل موجودة و تتغير كل خواص الأجزاء تماماً مثلما يمكن أن تتغير النغمات التى يتكون منها اللحن ويظل اللحن ما هو ، ومن ثم إذا تغيرت خواص أحد الأجزاء فى الصورة تغيرت خواص الكل ، و يتحدد كل جزء بعلاقاته بالأجزاء الأخرى ، وأهميته وفائدته هى دوره فى تحقيق التوازن الكلى الذى يبقى على الصورة نفسها، يقول ميرلوبونتى: " سوف نقول إنه توجد صورة إذا تغيرت خواص نسق ما بأى تغير يحدث فى واحد فقط من الأجزاء ، وعلى العكس توجد صورة إذا بقيت خواص النظام مع تغير خواص الأجزاء وبقاء نفس العلاقة بينها " (42) ،ومن ثم فإن القول إن الكل (السلوك) إنما يتكون من تجميع الأجزاء وهو الأفعال المنعكسة الأولية إنما هو وهم لأن ذلك التجميع إنما يحطم سلسلة التحديدات المتبادلة بين الأجزاء فى كل متماسك(43).

وعلاقة التفاعل المتبادل بين الأجزاء فى التركيب أو الصورة هذه لا توجد فى ذاتها فى الطبيعة إنما توجد بالنسبة للوعى إنها موضوع للوعى ، وتشبه فكرة التركيب فكرة النظام المادى عند ميرلوبونتى الذى يقدم قانون سقوط الأجسام مثالاً على ذلك النظام المادى ؛ فقانون سقوط الأجسام ليس مطلقاً بلا علاقات لأنه يتقيد بسرعة دوران الأرض وبالنظام الشمسى الذى تنتمى إليه الأرض، والنظام المادى إذن مجموعة قوى فى النظام الشمسى Solar System وصلت لحالة توازن ، وفى هذا التوازن يدرك العالم بعض العلاقات الثابتة التى يلخصها فى أفكار هى القوانين ،إن وعيه هو الذى يفسر معنى العالم الطبيعى ويكشف تركيبه ويعبر عنه بالقوانين ،وطالما ظلت حالة التوازن بين القوى ظل القانون صالحاً لهذا النظام ، و" يعبر قانون سقوط الأجسام عن تركيب لمجال من القوى الثابتة نسبياً فى محيط الأرض، وسوف يظل القانون صالحاً فقط طالما بقى التركيب الكوزمولوجى الذى تأسس عليه القانون"(44).

ويقول ميرلوبونتى: "التركيب هو انضمام joining فكرة an idea لوجود an existence وهما لا يتميزان"(45) ويقول عن الصورة أو التركيب : "إنها الفكرة التى نجمع تحتها معاً ما حدث فى أماكن عديدة و نلخصه"(46) ؛ معنى ذلك أن الأفكار التى يضعها العالم إنما يضعها على أساس الإدراك المتكرر لعلاقات معينة بين أجزاء (قوى) ترتبط كلها و تتبادل العلاقة فى كل ينظم نفسه بنفسه مما يسمح للعالم بأن يلخص هذه العلاقات فى فكرة هى معنى علاقات الأجزاء فى كل ، فالعلاقات الواقعية الفعلية هى ما يجعل الفكرة ممكنة لكن الفكرة ليست مثل مقولات كانط القبلية الخالصة\* (من أى مادة حسية) التى تلغى الوجود الفعلى فهى

فكرة لابد أن تتحقق في مادة حسية لأنها الفكرة التي تتخذها هذه المادة في الإدراك، والفكرة في الإدراك ومن ثم فالجشطلت ظاهرة.

الجشطلت هو الكل الذي هو ليس أكثر من مجموع الأجزاء لكنه يتركب من الأجزاء بحيث لا يمكن أن يُرد إليها : الجشطلت ليس أكثر من الأجزاء ؛ لأن الوعي المدرك يكتشف معنى علاقات الأجزاء نفسها ولا يحتاج لما هو خارجها ، والجشطلت لا يرد للأجزاء ؛ لأنه لا يستقل عن الوعي الذي يكتشف المعنى ، والجشطلت لا يرد للمادة التي يتحقق فيها؛ لأنه لا يوجد بشكل مستقل عن الوعي المدرك، فالوعي لا يضيف الجشطلت للمادة الحسية من لا شيء لأنه يكتشف فيها التركيب هي نفسها، وحين يكتشف هذا المعنى أو التركيب فهو (أى الوعي) لا يكون فعلاً بشكل كامل (لأنه لايفعل إلا فهم الأجزاء التي ينقيد بها ) كما أن الوعي في ذلك الاكتشاف لا يكون سلبياً بشكل كامل (لأنه يعمل عملاً ما هو الاكتشاف)(47).

#### ه- الجهاز العصبى Nervous system يعمل كوحدة unit و

#### كتركيب structure :

استعار ميرلوبونتي الجشطلت من مدرسة الجشطلت حيث وجد كولر يتحدث عن الكل الذى يشمل العضو المستقبل والآخر المستجيب فى الجهاز العصبى ، ليس الكائن الحى كتلة مادية مؤلفة من أجزاء خارج بعضها البعض هى المستقبل والمستجيب فمعنى المثير بالنسبة للكائن الحى إنما هو نشاطه أو هو نفسه استجابته و حركته تجاه هذا المثير ومن ثم فالإدراك و الحركة فى الكائن الحى إنما يتبادلان العلاقة و يؤلفان كلاً و من ثم يجب أن ندرس الجهاز العصبى على أنه يعمل ككل أو كوحدة أو كصورة form أو تركيب يتفاعل فيها ويتبادل الجزآن

الحسى) الذى يستقبل التنبيهات الداخلية والخارجية ( و الحركى (الذى يستجيب لتلك التأثيرات) العلاقة ، فالجسم الحى الذى ليس آلة مؤلفة من جزئين مستقلين عن بعضهما البعض (حسى وحركى) تقيدهما مسارات مُعدة مسبقاً ينتقل فيها التنبيه من الأول إلى الثانى بطريقة آلية إنما هو صورة و تركيب ( كل لا يحل إلى أجزائه المستقلة) ينظم نفسه بنفسه.

وكما تحدث علماء نفس الجشطلت عن استعادة التوازن بين القوى فى مجال العملية الفيزيائية بعد حدوث التوتر الناتج عن مثير خارجى \* يرى ميرلوبونتى أن الجهاز العصبى يميل لاستعادة التوازن المفضل preferred equilibrium حيث تميل القوى التى تعمل فى الجزء الحسى منه نحو تحقيق التوازن (بعد حدوث التوتر بسبب مثير خارجى) ويساعدها فى ذلك الجزء الحركى من نفس الجهاز العصبى ، وما محاولة استعادة التوازن إلا تعبير عن التفاعل بين داخل الكائن الحى ( الحالة الداخلية للكائن الحى ) وبين تأثير العوامل الخارجية، ومن هنا كان قول ميرلوبونتى " يجب أن نعتبر الجزء المستقبل للجهاز العصبى مجالاً للقوى يعبر بشكل متزامن عن الحالة داخل الكائن الحى وعن تأثير العوامل الخارجية، وتميل هذه القوى لأن توازن نفسها طبقاً لأنماط معينة من التوزيع المفضل كما تميل لاستصدار حركات من الأجزاء المتحركة من الجسم ملائمة لهذا الأثر للعوامل الخارجية ، وهذه الحركات بينما يتم تنفيذها تحدث تغيرات فى الجزء الحسى وهى ما تحدث بدورها حركات جديدة و سوف تؤكد هذه العملية الدينامكية والدائرية على التنظيم المرن المطلوب لأجل تفسير السلوك الفعلى " (48).

ويشرح ميرلوبونتى ذلك بمثال حيث يقول : "من المعروف أن العين تضع نفسها دائماً بحيث تستقبل أعظم إثارة ممكنة من الشئ الذى تنظر إليه، ويحدث

كل شيء كما لو أن قانون الأقصى maximum هو الذى ينظم حركات العين، وكما لو كانت هذه الحركات هي ما يجب أن يوجد في كل لحظة لكي نحقق مواقف معينة من التوازن المفضل الذى تتجه إليه القوى التى تعمل في الجزء الحسى من الجهاز العصبى ، فإذا ظهرت بقعة مضيئة في الظلام في منطقة هامشية فإنه يحدث كل شيء كما لو كان توازن الجهاز الحسى-الحركى قد تبدد، و من ثم تنشأ حالة من التوتر tension التى تزول بحركة تثبيت العين التى تأتى بالبقعة المضيئة في مركز شبكية العين .ومن ثم يظهر الجزء الحركى من الجهاز العصبى كوسيلة لإعادة التوازن الذى يقدم شروطه الجزء الحسى (49) .

والخنفساء Dung Beetle تتمكن بعد بتر عظام أحد أرجلها من المشى مباشرة بإعادة تنظيم العلاقة بين أجزاء جسمها، وبين جسمها و البيئة المحيطة بها ، وإعادة التنظيم هذه لا تحدث بشكل آلى لكن بضغط الظروف الخارجية فإذا كان السطح خشناً احتفظت الخنفساء بالعملية الطبيعية للمشى رغم قصر الرجل التى بترت إحدى عظامها ، وإذا كان السطح ناعماً بعدت عن تلك العملية ، فالخنفساء لا تعمل بشكل أعمى آلى وليس لديها فكر و لا عقل ورغم ذلك فهتم معنى الموقف الذى توجد فيه ، و فى حالات الأشخاص الذين يعانون من العمى الشقى hemianopia - أى العمى فى نصف المجال البصرى لعين واحدة أو للعينين - نجد الشخص لا يرى فقط نصف مجاله البصرى مع هامش فارغ إنما يرى المجال كاملاً لكن بشكل ردىء ؛ لأن الكائن الحى يحافظ على صورته أو تركيبه، فيحاول إعادة التوازن بعد الاختلال الذى يحدث مع هذا المرض فيعيد ضبط وظيفة بعض أجزاء العين بعد الاختلال أو التعطل فى البعض الآخر، فتتأرجح العين بحيث

يكون الجزء الحساس للضوء هو فى المركز ، يقول ميرلوبونتي: " الكائن الحى  
يكيف نفسه للموقف الذى خلقه المرض بإعادة ضبط وظائف العين" (50).

والحيوان الذى لا يستطيع أن يمسك بطعامه بعد بتر جزئى لجزء الدماغ  
المتعلق بوظيفة الإمساك هذه يستعيد الوظيفة باستبدال العضو الأيسر بدل الأيمن ،  
وإعادة تنظيم العلاقة بين أجزاء الجسم و بين البيئة و استبدال عضو بآخر أمور  
تحدث بطريقة خاصة فقط إذا كانت منفعة حيوية معرضة للخطر، وهذا يعنى أنها  
تمثل وسيلة لاستعادة التوازن لكل الجهاز العصبى ،كما أن هذه الأمور لا تحقق  
مرونة الاستجابات التى تسمى واعية " وهنا ينكشف لنا نشاط مباشر بين الآلية  
العمياء وبين السلوك العقلى وهو ما لم يفسره المذهبان المادى و العقلى  
الكلاسيكيين " (51).

الجهاز العصبى كل ووحدة واحدة لا يتركب من أجزاء منفصلة تترابط  
بقواعد العلية الآلية، ويعنى ذلك وجود علية دائرية بين إدراك الكائن الحى للمثير و  
بين الحركة التى يصدرها كرد فعل على هذه الإثارة ، وهذا ما أكد عليه ميرلوبونتي،  
فهو يرفض العلاقة الآلية الخارجية العرضية بين الموقف و الاستجابة و أن  
يتدخل الموقف كفاعلية تضغط على الزر وتجعل الآلة تعمل.

### و- العلية الآلية و العلية الدائرية Linear causality and Circular

#### causality:

تختلف علاقة العلية الآلية عن علاقة العلية الدائرية حيث توجد فى الثانية  
علاقة داخلية وتفاعل داخلى بين الأجزاء خلاف العلاقة الأولى التى لا تكون إلا  
أحادية الجانب uni-directional و التفكير الآلى غير التفكير الدائرى،  
فالأول : يعالج الكل على أنه قابل للتحليل إلى أجزاء خارج بعضها البعض قد

تتغير أو تفنى دون أن تتأثر الأجزاء الأخرى ، وبالتالي فالكائن الحي فى هذه العلية إنما يكون مؤلفا من مجموعة مستقبلين يستجيب الواحد منهم تلو الآخر لخاصية من خواص المثير المتكررة أيضا ، و تتألف الإثارة المركبة من مجموعة المثيرات المتميزة ، كما تتألف الاستجابة المركبة من مجموعة الاستجابات المتميزة ، أما التفكير الدائرى فيرى لكل طبيعة و خواص لا تُرد لخواص الأجزاء التى يتألف منها أى يرى له صورة form أو تركيب structure وهو التصور الذى استعاره ميرلوبونتي من علم نفس الجشطت .

على ذلك يمكن أن نقول إن العلة (س) والمعلول (ص) يكونان فى علاقة

علية آلية فى حالة ما إذا:

أ- كانت (س) تحدد وتسبب (ص) لكن (ص) لا تحدد و لا تسبب (س) (ومن ثم فالعلاقة بينهما أحادية الجانب ) .

ب- وإذا كان كل مكون فى (س) - التى تؤثر علياً فى (ص)- إنما يقف فى علاقة اقتران واحد لواحد مع مكون ناتج عن ذلك التأثير العلى فى (ص)

وتكون العلة (س) والمعلول (ص) فى علاقة عليية الدائرية:

أ- حينما يكون هناك اعتماد متبادل وتفاعل متبادل أو يكون هناك علاقة ديناميكية بينهما . (س) تحدد (ص) و (ص) تحدد (س) ، (س) تجعل (ص) ما هى عليه ، و (ص) بالتبادل تجعل (س) ما هى عليه .

فى هذه العلاقة الدائرية (س) لا تتأثر وتتعدل فقط ب (ص) (أو بأى ص) لكن (س) تتأثر ب (ص) من حيث (س) هى المحدد ل (ص) ؛ أى من حيث (س) تتبادل العلاقة ب (ص) ومن ثم من حيث أن (ص) أيضا تتحدد ب (س) ، و بمعنى آخر (س) تتأثر ب (ص) وهى نفسها كما

تتلقى منها التأثير فإنها ترد فتحدد وتؤثر فيها (أى فى ص) بالمقابل .  
و(ص) فى هذه العلاقة المتبادلة لا تتأثر بأى (س) لكن ب (س) من حيث هى  
(أى ص) هى التى تحدد (س) ، (ص) تتأثر ب (س) وهى نفسها كما تتلقى منها  
التأثير فإنها ترد فتحدد وتؤثر فيها (أى فى س) بالمقابل .  
ب- (س) تجعل (س) ما هى عليه بواسطة (ص) ، و (ص) تجعل (ص) ما  
هى عليه بواسطة (س) : (س) تحدد نفسها خلال تحديدها ل (ص) التى هى  
محدد ل (س) ، و (ص) تحدد نفسها خلال تحديدها ل(س) التى هى محدد ل  
(ص) ، يتضح من ذلك أن (س) و (ص) فى هذه العلاقة الجدلية إنما يؤلفان كلاً  
واحداً .

ج- يتضح أيضاً أن (س) تعتمد على (ص) فى وجودها وطبيعتها ، كما أن  
(ص) تعتمد على (س) فى وجودها وطبيعتها : فرغم أن (س) ليست (ص) و  
(ص) ليست (س) فإن وجود (س) وكون (س) هى (س) إنما يعتمد على كل  
من : كون (س) ليست (ص) وعلى وجود (ص) ،  
كذلك يعتمد وجود (ص) وكون (ص) هى (ص) على كل من : كون (ص)  
ليست (س) وعلى وجود (س) (52) .

ثالثاً- نقد ميرلوبونتي لمفكرى الجشطلت:

أ- النظام المادى **physical order** والنظام الحيوى **vital order** و

النظام العقلى **human order** :

هناك تشابه بين كل من النظام المادى و الجهاز العصبى حيث نجد فى كل منهما الاتجاه نحو حالة من التوازن كما نجد العلاقة الدائرية أو الاعتماد المتبادل بين الظواهر ، وما يحدث فى كل جزء منهما (أى الجهاز العصبى أو النظام المادى) إنما يتحدد بما يحدث فى الأجزاء الأخرى ، وهذا هو تعريف النظام أى أن **كليهما تركيب** " ففكرة النظام المادى هى فكرة مجموعة من القوى فى حالة توازن أو تغير دائم بحيث لا يمكن صياغة قاعدة لأى قوة بمعزل عن القوى الأخرى ، ومن ثم سوف يترجم أى تغير موضعى فى الصورة بإعادة توزيع القوى الذى يضمن استقرار علاقة هذه القوى . وإن هذه الدائرية الداخلية لهى النظام كحقيقة فيزيائية ، هذا النظام لا يتكون من الأجزاء التى يمكن تمييزها منه أكثر من تكون للحن (القابل للنقل دائماً) من النغمات الجزئية التى هى التعبير المؤقت عنه، وتكون هذه الصورة الفيزيائية فرداً **individual** بامتلاكها الوحدة الداخلية الموجودة فى جزء من المكان وبمقاومتها التشويه من التأثيرات الخارجية بفضل عليتها الدائرية " (53)، كذلك الحال مع الظواهر العصبية حيث توجد عليية دائرية بين إدراك الكائن الحى للمثير وبين الحركة التى يصدرها كرد فعل على هذه الإثارة .

لكن يختلف التركيب فى النظام المادى عنه فى الجهاز العصبى للكائن الحى حيث تؤثر البيئة على الشئء تأثير العلة على المعلول من جانب واحد هو جانب العلة ، و لاسلطة للشئء على هذه الظروف " فالظروف الخارجية أو الضغط الخارجى على فقاعة الصابون **soap bubble** الذى يدفعها إلى الشكل

الدائري -ومن ثم للتوازن و الاستقرار " (54) لا دخل للفقاعه فى عمله ، أما مع الكائن الحى فالحال مختلف فعلاقة الكائن الحى بالبيئة علاقة جدلية : المثير لا يؤثر على الكائن الحى كعلة إنما يعمل كمناسبة ، واستجابات الكائن الحى لا تعتمد على الصفات المادية الكيميائية للمثير ولا على التركيب الفسيولوجى لجهاز الإحساس إنما على الاندماج الحسى الحركى للكائن الحى فى البيئة ، ويتيح المثير مجموعة استجابات كلية (أى استجابة للمثير ككل) ممكنة تحددتها الميول الحسية الحركية للكائن الحى (عتبة الاحساس و الحركة ..إلخ) ، الميول التى هى قواعد لنشاط الكائن الحى ، فعلاقة الكائن الحى بالبيئة إذن علاقة بين كيانين غير منفصلين هما الموقف الحيوى vital situation (الذى له معنى حيوى للكائن الحى) و القدرة aptitude (التى يكتسبها الكائن الحى على حل المشكلات من نفس الصورة أو التركيب ) .

هناك أيضًا التركيب الإنسانى Human order الذى يتميز بالسلوك الرمضى حيث يتحدث ميرلوبونتى عن ثلاثة أنواع من السلوك اثنان يخصان التركيب الحيوى هما السلوك الغريزى syncretic والسلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف detachable والثالث هو السلوك الرمضى symbolic الخاص بالإنسان. ويشبه السلوك الغريزى السلوك الذى وصفته نظرية الفعل المنعكس لكن مع الفارق هو وجود علاقة داخلية بين الموقف و الاستجابة فى السلوك الغريزى لا توجد فى الفعل المنعكس ، و من ثم "لايمكن أن نرد الثنائى الموقف الحيوى - الاستجابة الغريزية vital situation-instinctive reaction للثنائى مثير- فعل منعكس stimulus-reflex ؛ لأن بالأول علاقة داخلية لا توجد فى

العلاقة الخطية من العلة للمعلول بوصفهما أجزاء مستقلة عن بعضها البعض " (55).

يقول ميرلوبونتي : "في هذا المستوي (الغريزي) يكون السلوك حبيسًا لإطار الظروف الطبيعية وتعامل المواقف غير المتوقعه فقط كإشارة غير مباشرة للمواقف الحيوية المفروضة عليه " فالضفدع toad إذا وضعت أمامه دودة الأرض earthworm لكن فصلت عنه بلوح زجاجي يثابر في محاولات الإمساك بها رغم فشله المتكرر الذي كان يجب أن يمنعه عن المحاولة ذلك لأن غريزته تفرض عليه القيام بمحاولات متكررة عند مواجهة هدف متحرك (56) .

في هذا السلوك الغريزي يتقيد الكائن الحي بالظروف الطبيعية التي تصدر فيها أفعاله الغريزية ( لا بالمواقف الحيوية حسب حالتها الفردية) فيتصرف في أي موقف يشبه هذه الظروف بنفس الطريقة دون محاولة التكيف مع الموقف الجديد ، والسلوك الغريزي هو إذن استجابة لا لخواص معينة تتعلق بموقف مفرد يوجد بالفعل لكنه استجابة لمجموعة مواقف متشابهة ولمجموعة من المثيرات .

الكائن الحي في هذا السلوك كأنه مبرمج (57) للقيام بسلوك معين بغض النظر عن الصفات الفردية الخاصة للموقف الذي يوجد فيه وبدون مراعاة تنوع البيئات التي يمكن أن يسلك فيها، ومن يبحث في السلوك الغريزي سيجد أن المثير ليس شيئًا واقعيًا لكنه جانب مجرد للشيء فما يسبب. - السلوك الهجومي للعنكبوت أي المثير الذي يفهمه العنكبوت كفريسة يلتقطها هو ذبذبات معينة للشبكية تحدثها حركات الذبابة ، وإذا وضعت الذبابة في شبكة العنكبوت ولم يصدر منها ذبذبات فلن يعاملها العنكبوت كفريسة بينما تسبب الذبذبات الصادرة عن شوكة رنانة سلوكًا هجوميًا للعنكبوت . الكائن الحي في السلوك الغريزي syncretic يُستغرق تمامًا

فى المواقف الواقعية التى يحقق فيها غرائزه ولا يتخارج عنها ولا يعيها من الخارج عكس السلوك القابل للفصل عن مادة الموقف detachable ، حيث الحيوان لا يكون مستغرقاً فى الموقف الواقعى ، ويفهم البيئة على أن لها معنى وذلك بفهمه بعض العلاقات المضمنة فى هذا الموقف الواقعى مثل الدجاج الذى درب على أن يختار القمح الذى وضع فى الإناء الرمادى الفاتح(١) ويترك الإناء ذو اللون الرمادى الوسط (٢) ، ثم يستبدل الإناء الأخير بآخر(٣) أفتح لوئاً من الإناء الأول(١) ، فإذا بالدجاج يختار الأثناء الأفتح لوئاً (٣) ، واستجابة الدجاج هنا ليست لدرجة معينة من اللون إنما "علاقة الأفتح" أى هى استجابة لموقف يشمل علاقة بين درجتين للون أحدهما أفتح من الأخرى ، و الموقف له معنى هو هذه العلاقة المتبادلة بين الدرجتين للون .

وأصبحت علاقة "الأفتح لوئاً" تقف الآن وسطاً بين الحيوان و بين البيئة، فالحيوان يفكر فى البيئة و يقصدها بواسطة هذه العلامة لكن رغم أن سلوكه ينفصل عن مادة الموقف الفعلى إلا أنه لم يتجرد عنه كليةً إذ مازال يعامل الموقف على أن به معنى حيوى بالنسبة له .

ومع الانسان نجد تركيباً سلوكياً جديداً أو جدلاً جديداً بين الموقف المدرك perceived situation وبين العمل work ، فعلى خلاف الحيوان الذى يكون بيئة بيولوجية ثابتة نسبياً تتناسب مع ميوله الحسية الحركية ، فالإنسان يكون بيئة ثقافية دينامية تتناسب مع قدرته على تنويع وجهات النظر(58) ، فالشمبانزى (١) قد تعلم أن يستخدم الصندوق كأداة للوصول إلى الموز المعلق والشمبانزى (٢) وضع عصا ذات ثخانة أقل داخل أخرى ذات ثخانة أكبر ليصنع عصا طويلة يتمكن بها من الوصول لطعام وضع بعيداً عن القفص الذى كان فيه ، ولم يستخدم

الشمبانزى (١) ذلك الصندوق لغرض الصعود بعد أن رأى شمبانزى ثالث يجلس على نفس الصندوق ، إنه لم يتمكن إلا من إدراك الصندوق داخل سياق معين فلم يدرك الجوانب المختلفة والمنظورات المختلفة لنفس الصندوق التي يمكنه الاختيار من بينها ، فمعنى المقعد عنده هو الجلوس عليه أو معناه استخدامه كأداة للصعود عليه للحصول على الموز المعلق ، ولن يوجد المعنى الثاني إلا إذا توقف المعنى الأول.

الصندوق وسيلة واحدة لغرض واحد فقط ، فالشمبانزى فسر الصندوق فقط داخل تركيب الموقف ولم يتمكن من تصور الصندوق كشيء عام يتغير استخدامه مع تغير المواقف و لم يدرك الصندوق بخواصه المادية بعيداً عن أى موقف أو سياق معين ، أى لم يفهم الصندوق " كشيء thing بمعنى وحدة واقعية قادرة على الدخول فى كثرة من العلاقات دون أن تفقد نفسها " (59).

أما فى حالة الإنسان فالشيء علامة تحمل جوانب و منظورات و معانى مختلفة فى نفس الوقت بحيث يمكن الانتقال بينها بحرية فيكون هذا الصندوق الذى نجلس عليه هو نفس الصندوق الذى نستخدمه أداة للصعود عليه أو نستخدمه كخزانة إلخ. فإذا كان الحيوان يستجيب للعلامة Sign (مثل "الأفتح لوناً" التى رأيناها مع الدجاج) و العلامة ترتبط بحدث معين تمثله، فإن الإنسان يسلك طبقاً للرموز، والرمز لا يرتبط بحدث أو بشيء إنما برمز آخر، فعازف البيانو بعزفه على أصابع البيانو يكون كلاً يوحد الآلة الموسيقية والموسيقى المكتوبة وحركات يده، إنه بعزفه يحقق معنى الموقف الموسيقى ككل أى يصبح هو بالعزف فناً وتصبح القطعة الموسيقية قطعة فنية و ليست مجرد قطعة من الورق عليها رموز وتصبح الآلة بيانو، والعازف بذلك لا يستجيب للعالم فقط إنما يغيره ويمنحه معنى جديداً؛ لأنه

يحول قطعة الورق لشيء خلاف نفسها أى يحولها لعمل فنى، و علاقة الفنان بالآلة وبقطعة الموسيقى علاقة جدلية وسلوكه سلوك حر خلاق، فالرمز **Symbol** علامة بدلاً من أن تكون له علاقة تجريبية بشئ أو حدث تمثله يمكن أن يرتبط أشياء أخرى ، فبقدر ما يمثل الرمز أشياء أخرى شبيهة فهو علامة مثل البيانو إذ هو الذى يمثل كل بيانو، كذلك تمثل قطعة الموسيقى كل قطعة أخرى ، وبهذا المعنى فالسلوك الرمزي **symbolic behavior** يمكننا من فهم الثابت فى ظل متنوع من المنظورات .

### **ب- فلسفة الصورة Form عند ميرلوبونتي (الاتجاه الثالث فى فلسفته):**

وإذا كان ميرلوبونتي قد أشار إلى الاتجاهات السائدة فى فرنسا : الاتجاه الواقعي والاتجاه المثالي\* حيث الأول يرى العالم موجوداً بدون تدخل من الذات ، والثانى يرى الوعى مكوناً للطبيعة فإنه يرى الاتجاهين مشتركين فى أن كل منهما أحد صور الموقف الطبيعي **natural attitude** الذى يسميه التفكير الموضوعي **objectivist thinking** ، وهو ما يرد كل الظواهر (الأشياء على نحو ما هى فى الوعى) التى تشهد على وحدة الذات بالعالم واضعاً محلها فكرة الشئ كشيء فى ذاته **as in itself** والذات كوعى خالص **the subject as pure consciousness** قاطعاً بذلك الروابط التى توحد الشئ و الذات المتجسدة **embodied subject** ، وبالتالي يسعى ميرلوبونتي فى الاتجاه الثالث الذى اتخذه أن يستعيد تلك الروابط وأن يستبدل الظواهر بالطبيعة (60).

هذا الاتجاه الثالث هو فلسفة الصورة **Form** التى سوف تحل محل فلسفة الجوهر **Substance** فالصورة ليست شيئاً أو جوهرًا فلا توجد مستقلة عن الوعى ،" إنها تحدث عند اتصال الذات بالعالم فى الإدراك ، إنها الصور التى يتخذها العالم

فى الإدراك وتدل على هذه الحقيقة طبيعة الصورة باعتبارها الكل الذى ليس أكثر من مجرد مجموع الأجزاء المكوّنة له، ومع ذلك يتألف منها بحيث لا يُرد إليها ، و الصورة لا هى موضوعية تمامًا ولا يخلقها الوعى من لا شىء ، وحيث لا توجد الصورة مستقلة عن الوعى الموجود فى العالم فالوعى المدرك perceptual consciousness هو البيئة الكلية universal milieu لأن أى حقيقة وأى شىء إنما يتكشف لنا فى أفعال الإدراك (61) .

بالمقابل وجدنا علماء نفس الجشطلت " لم يفكروا طبقًا للصورة إذ اعتبروها شيئًا موجودًا بالعالم المادى الذى هو البيئة الكلية بالنسبة لهم ، لقد تمسك علماء نفس الجشطلت بالمصادر الواقعية realistic postulates التى هى مصادرات كل سيكولوجيا فاستبدلوا البيئة السلوكية\* behavioral environment ببعض الأحداث فى الكائن الحى الحقيقى المادى ،ومن ثم اعتبروا الوعى مجموعة أحداث مادية تحدث فى الدماغ ؛ لأن البيئة الجغرافية geographical environment تنتمى لعالم المادة (62) ويجب أن تكون نتائجها أيضًا فى عالم المادة ، أى ردوا الكل الذى نجده فى الإدراك (الأشجار - السحب ..الخ) إلى أحداث و عمليات تركيبية structural مادية تحدث فى الدماغ ، وهذا بغض النظر عن معنى البيئة الجغرافية فى الكائن الحى وتفاعله معها بل وتكوينه للبيئة السلوكية .

فى الوقت الذى فسرت فيه المدرسة السلوكية السلوك بالفسولوجيا يجمع كوفكا بين الفسيولوجيا وعلم النفس يقول كوفكا تحت عنوان " حل فرتهايمر ، تماثل الشكل "Wertheimer solution, Isomorphism" " فى كتابه " مبادئ علم نفس الجشطلت " " Principles of Gestalt psychology : "لقد تأثرت بالافتراض الفسيولوجى لفرتهايمر، فما قاله هو: دعنا نتصور العمليات الفسيولوجية

ظواهر كلية لا ظواهر جزئية، و إذا فعلنا ذلك فسوف تختفى كل صعوبات النظرية القديمة ، لأن هذه العمليات الفسيولوجية إذا كانت كلية فإن خواصها الكلية ستكون نفس خواص عمليات الوعى التى يفترض أن تشكل تلك العمليات الفسيولوجية أساساً لها ، ومن ثم فإن المجالين (الفسيولوجى و الواعى ) سيعرضان معاً فى معية وثيقة قدر الإمكان بدلاً من اعتبارهما منفصلين بهوة لا يمكن اجتيازها مما يترتب عليه أننا يمكن أن نستخدم ملاحظتنا عن البيئة السلوكية و السلوك كمعطيات لشرح واقعى للفروض الفسيولوجية " (63)، وتتماثل البيئة السلوكية - بمعنى البيئة الجغرافية فى وعى الكائن الحى - فى الشكل مع عمليات فسيولوجية تحدث فى الدماغ : الجشطلت و التركيب بين قوى الدماغ (التى تعدل من نفسها لتحقيق التوازن الذى يوازيه حدوث الإدراك الأيسر والأكثر اتساقاً الذى يمكن أن ينتج عن الإثارة الحسية ) هو نفس الجشطلت فى الخبرة و الإدراك ، والإجابة عن السؤال لماذا تبدو الأشياء لنا فى الإدراك على نحو ما تبدو؟ هى أن العمليات الفسيولوجية داخل الكائن الحى لها نفس التنظيم والترتيب والعلاقة بين الأجزاء فى الظاهر، وأن نشاط الدماغ ينظم نفسه فى نماذج طبقاً لقانون الشكل الجيد.

الدماغ عند علم نفس الجشطلت محل لقوى فيزيائية لها خواص المجال، والإثارة الحسية تودى إلى تفعيل عمل ذلك المجال، وإذا كانت القوى المكوّنة لمجال الدماغ متوازنة كانت العملية مستقرة وبقية كذلك ، والنتيجة أن الإدراك الناتج عن عملية الدماغ هذه سوف يتطابق بدقة مع الإثارة الحسية ، لكن إذا كانت القوى المكوّنة لمجال الدماغ غير متوازنة فسوف تتغير عملية الدماغ حتى تحقق حالة من التوازن، وعملية استعادة التوازن بين قوى مجال الدماغ هى السبب فى الإدراك البسيط أو إدراك الشئ فى أبسط صورته، ومن ثم فأحداث و عمليات حقيقية -

تسببها خواص ذاتية *intrinsic properties* للمعطيات التي تؤثر فينا - تحدث داخل الدماغ هي السبب في أننا لا ندرك الأشياء في أجزاء منفصلة لكن في تكوين وكل له معنى، ومن ثم " تجاهل علم نفس الجشطلت أصالة التركيب العقلي والتركيب الحيوي بردهما إلى التركيب المادى ، وتم توحيد المادة و الحياة و العقل بردهم إلى عامل مشترك من الصور المادية " (64).

إن ما فعله علماء نفس الجشطلت هو أنهم اختاروا الحل المادى فى تفسير علاقة المادى والفسىولوجى و العقلى حيث رأوا العالم المادى موجوداً يحوى كل الأشياء وحاولوا دمج السلوك فيه وبذلك ابتعدوا عن المذهب العقلانى *Mentalism* الذى عارض جوهرًا بآخر حينما أكد على أصالة العقلى و البيولوجى حين اعتبر الوعى قوة لكن من طبيعة غير مادية، أما حل علم نفس الجشطلت المادى لعلاقة المادى والفسىولوجى و العقلى فقد أكد على تماسك النظام المادى برد النظامين الآخرين (البيولوجى و العقلى ) له.

بالنسبة لنظرية الجشطلت لا وجود إلا للصورة المادية حيث لا اختلاف بين النظم و العلاقات الثلاثة : المادة و الحياة و العقل؛ لأن الأولى هي الأساس *substrate* الذى يملك خواص الحيوى و العقلى ولا وجود لتمميزات مادية . والوعى الذى هو فى هوية مع المادى ولا يضيف جديدًا له ليس ضروريا لتعريف الإنسان إنما التركيب المادى هو الضرورى لذلك (63).

أما "بالنسبة للفلسفة التى سوف تتخلى حقًا عن فكرة الجوهر *Substance* و الشىء *Thing* فسيكون هناك عالم واحد هو عالم الصورة *Form* ، ولن يكون هناك مجالًا لأى علاقة عليية بين الأنواع المختلفة للصور التى لها حقوق متساوية،

ولا بين العلاقات المادية و العلاقات التى يتضمنها وصف السلوك ، كما لن يكون هناك مجالاً لاستدعاء نموذج مادى يُحدث صوراً فسيولوجية أو عقلية" (64) .

فالتبيعة غير الحية physical والحياة life و العقل mind ليست ثلاثة أشياء أو جواهر إنما هى تركيبات structures أو أنظمة orders، والاختلاف بينها ليس اختلافاً بين ثلاثة أشياء إنما الاختلاف فى التركيب أو العلاقات ، ومن ثم فلا يوجد فى العقى ما لا يوجد فى المادى ، و النظام الحيوى عملية تنظيم structuration جديد للنظام المادى ينتج عنه فرد individual أكثر تكاملاً من الفرد فى النظام المادى ، والنظام العقى تنظيم structuration جديد للنظام الحيوى ينتج عنه فرد أكثر اكتمالاً من الفرد فى النظامين السابقين ولا يُرد إليهما .

والنظام هو نظام ظاهرى phenomenal أى بالنسبة للوعى ، لكن ليس الوعى الخالص الترانسندنتالى الذى يكون العالم ولا يقع فيه، بل الوعى-فى-العالم ، أى الوعى الساذج أو الإدراك الحى المباشر الذى يحيا فى اتصال مباشر مع الموجودات ومع الأشياء ومع جسمه.

### الإجابة عن أسئلة البحث

#### ١- كيف تطور الجشطلت عند ماخ وايرنفلس و فرتهايمر؟

بينما فسره فى حالة الشكل المكانى بالشعور العضلى للعين، أو بالإحساس المباشر بالشكل المكانى ( الذى يتطابق فى كل حالة ندرك فيها شكلاً معيناً كالمستطيل مثلاً ) الذى يُعطي برفقة الشعور أو الإحساس بخطوط الشكل المدركة بالبصر ، كذلك يرافق الإحساس المباشر بالشكل الزمنى (الحن نفسه مع تغير النغمات المؤلفه له أو مع تغير سرعة هذه النغمات) الإحساس المباشر بالنغمات الفردية للحن .

أما إيرنفلس فصاغ مصطلح " صفة الجشالت " الذى رأى أنه مُعطى مباشر لكن من فئة مختلفة عن الإحساسات وإن كان يحتاجها ولا يظهر إلا في حضورها . ورأى فرتهيمرأن الجشالت لا يعتمد علي مثير موضوعي معين أو علي إحساسات معينة ، فظاهرة الفاي مثلاً لا ترجع لوجود كرة تتحرك ذهاباً و اياباً وإنما ترجع إلي الكل الذى تفاعلت فيه العناصر .

وحددت نظرية الجشالت الطرق و المبادئ التى يتم فيها تجميع المعطيات الحسية وأهمها - فى هذا البحث - مبدأ البساطة الذى يعتمد علي مبدأ تماثل الشكل بين قوى الدماغ وبين الإدراك الذى ينتج عنه : حيث تسبب الإثارة الحسية للشكل المعقد عدم توازن بين قوى الدماغ ، وهى كنظام مادى (العلية الدائرية أو التفاعل المتبادل بين مجموعة من القوى تسعى للتوازن) تميل لاستعادة التوازن ، وهذه ينتج عنها أن يصبح الإدراك أكثر بساطة واتساقاً ، فندرك الشكل المعقد في أبسط صورته.

## ٢-ولماذا وقع اختيار ميرلوبونتي على السلوك أساساً لنقده لمفكرى

### الجشطلت؟

لأن النظرية الكلاسيكية للفعل المنعكس تعد تطبيقاً للتفسير العلى والتحليل الواقعى ، فقد اهتم مرلوبونتي بدراستها لنقد المذهب التجريبي ،فهذه النظرية تحلل السلوك تحليلاً علمياً، فتستبعد القيم والمعانى لأنها مظاهر فينا وليس لها أساس فى الأشياء، ومن ثم لا محل لها فى التفسير العلمى للسلوك ، فالأخير يرى الفعل المنعكس ظاهرة خطية أو أحداث فسيولوجية و فيزيائية يحدثها فاعل فيزيائى كيميائى تؤثر فى مستقبل محدد يتحد بمسارات عصبية محددة من قبل مع الأعصاب الحركية التى تعمل بنحو آلى بمجرد بدء التأثير فى المستقبل فتصدر

الحركة، وحيث إن المستقبل - مثله مثل المثير - ينحل لأجزاء منفصلة خارج بعضها البعض فالكائن الحى وسلوكه هو مجرد أجزاء و عمليات خارج بعضها البعض .

### ٣- ما طبيعة التفسير الجشطالتي للجهاز العصبى فى مقابل التفسير الآلى؟

حيث اتضح أن المستقبل الحسى يستجيب للمثير ككل لا لعناصره المنفصلة، وأن المثير لا يمكن عزله عن السياق الذى يوجد فيه ، و لا عن المثيرات الأخرى التى يخضع لها الكائن الحى ومن ثم لا نجد روابطاً ثابتة بين مثير بسيط واستجابة بسيطة تحدث عنه دائماً ، وبالتالي ثبتت عدم فاعلية فكرة العلية الآلية فى تفسير علاقة المثير بالاستجابة لا فى الفعل المنعكس الأولى ، ولا فى الصور الأعلى للسلوك مثل التعلم ، الذى لا يعتمد على روابط موجودة مقدما بين المستقبل و المستجيب ، إنما على فهم تركيب الموقف و صورته ، ومن ثم القدرة على التكيف معه بطرق مختلفة .

والصورة أو التركيب أو النظام هي علاقة العلية الدائرية بين الأجزاء التى لا ترد للأجزاء نفسها ، وهى علاقة توجد فى الوعى ، ذلك الذى لا يضيف الجشطات من لا شىء فى المادة الحسية التى تتحقق فيها الجشطات ؛ لأنه يكتشف المعنى فيها، وهو بذلك لا يكون فعالاً بشكل كامل ولا سلبياً بشكل كامل.

والجهاز العصبى كالنظام المادى يميل الجزء الحسى فيه لاستعادة التوازن المفضل بمساعدة الجزء الحركى ، و الجسم الحى ليس آلة من جزئين مستقلين تفيدهما مسارات معدة مسبقاً، إنما هو تركيب و كل ينظم نفسه بنفسه ويفهم البيئة كأنه واعى ، ومن ثم توجد علية دائرية بين إدراك إثارة البيئة و بين الحركة كاستجابة للإثارة.

#### ٤- ما طبيعة الموقف الثالث -خلاف الواقعية و المثالية -الذي أظهرته دراسة

السلوك عند ميرلوبونتي؟ وما طبيعة فلسفة الصورة عنده في ضوء نقده لمفكرى

الجشطلت؟

النظام المادى تركيب structure مثله مثل الجهاز العصبى ، مع الفارق

فى علاقة كل منهما بالبيئة المحيطة : علاقة الأول بالبيئة علاقة كيانين منفصلين إذ هى معلول بعلة لا دخل له فى عملها ، أما فى الحالة الثانية فعلاقة جدلية بين كيانين يؤلفان كلاً واحداً ، فلا تعتمد فيها استجابة الكائن الحى على الصفات المادية للمثير، وإنما على قواعد وميول توجد فى الكائن الحى نفسه ، إذن يوجد تركيب مادى *physical order* يختلف عن التركيب الحيوى *vital order* ، ونجد فى الأخير نوعين من السلوك : السلوك الغريزي *syncretic* ( عند اللاتدييات كالأضفدع و العنكبوت *invertebrates* ) والسلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف *detachable* ( عند الثدييات كالكلاب و القطط والشمبانزى *vertebrates* )

وفى السلوك القابل للانفصال عن مادة الموقف وجدنا الكائن الحى ينفصل عن مادة الموقف، ويفكر فيها بواسطة العلامة التى يمكن أن يطبقها فى مواقف أخرى، مثلاً علاقة الأفتح لوناً التى طبقها الدجاجة على موقف آخر ، لكن الكائن الحى لا يتجرد عن الموقف الحيوى كلية ؛ لأنه لا يعامل الشئ كرمز *symbol* قادر على الدخول فى كثرة من العلاقات دون أن يفقد نفسه ، كما يحدث مع الإنسان .

وفى الوقت الذى اختارت فيه مدرسة الجشطلت الحل المادى فى تفسير علاقة المادى والفسولوجى و العقلى وجدنا مرلوبونتي يقر بفلسفة الصورة التى تحل

محل فلسفة الجواهر و الشيء ، والنظام هو نظام ظاهري phenomenal أى بالنسبة للوعي ، لكن ليس الوعي الخالص الترانسندنتالي الذى يكون العالم ولا يقع فيه، بل الوعي الساذج أو الإدراك الحى المباشر immediate consciousness الذى يحيا فى اتصال مباشر مع الموجودات و الأشياء ومع جسمه.

### الخاتمة والنتائج:

تحدث إيرنفلس عن معيارين للشيء حتى يكون "جشطلت" ، الأول : أنه شيء أكثر من مجرد مجموع الأجزاء التى يتركب منها Super-summative ، والثانى : أنه يبقى ما هو مع تغير الأجزاء التى يتألف منها Transposable كاللحن الذى يمكن عزفه هو نفسه بنغمات و سرعات مختلفة ، وهو بذلك لا يُرد لتلك الأجزاء ،ومن ثم فالجشطلت أو التركيب أو الصورة هى الكل الذى لا ترجع صفاته لصفات العناصر التى يتألف منها ،وليس هو حاصل جمع هذه العناصر . وفي الوقت الذى ربط فيه كل من ماخ وإيرنفلس الجشطلت بالإحساس (جعله الأول إحساساً مباشراً بالشكل أو الصورة ، وجعله الثانى محتاجاً للإحساس ولا يظهر إلا بحضوره رغم أن الجشطلت من فئة مختلفة عن الإحساس ) فإن فرتهايمر رأى الجشطلت غير متوقف على الإحساس ؛لأن الكرة المدركة فى ظاهرة الفاي ترجع لتفاعل العناصر فى الكل ولا تتعلق باستقبال إحساسات معينة،وهذا الكل ينظم نفسه بنفسه دون أى تأثير يُفرض عليه من خارجه ،أى أن الأجزاء فيه تتفاعل بشكل دينامى حى يعرف فيه كل جزء الجزء الآخر فيتكيف مع ما يحدث له.

ولم يكن الجشطلت - عند مفكريه - موجوداً فى الخبرة المباشرة فقط (مثلاً ظاهرة الفاي)، لكن كان أيضاً فى السلوك ،حيث يعيد الكائن الحى تنظيم العلاقة

بين عناصر الموقف ليحل المشكلة ويزول التوتر الناتج عنها، كالقرد الجائع الذي وضع في قفص سقفه عال به حبل يتدلى منه الموز، كذلك وضع صندوقان فوق بعضهما البعض داخل القفص، وهنا نجد القرد يحاول القفز أكثر من مرة للحصول على الطعام فلم يتمكن، وفجأة يدرك العلاقة بين الوسيلة و الغاية فيعيد تنظيم العلاقة بين عناصر الموقف ويستخدم الصندوقين كسلم ويتمكن من بلوغ هدفه.

وفى الإدراك و السلوك توجد خواص داخلية *intrinsic properties* للمعطيات هي التي أثرت على الجهاز العصبى (67)، وهذه هي خواص الكل أو الجشطلت (الذى كانت حالة المصباحين فى ظاهرة الفاي أحد تشكيلاته، وكانت عناصر موقف القرد أحد تشكيلاته)، وقد أحدثت تلك الخواص تأثيراً في الدماغ كان عبارة عن مجالين تشابكا فأحدثا الخبرة بالحركة، وفى النهاية حدث تماثل الشكل *Isomorphism* بين تركيب وصورة الدماغ مع تركيب وصورة الخبرة المباشرة فى حالة ظاهرة الفاي، كما أثرت الخواص الداخلية للموقف فتمثلت فى مجال الدماغ فى شكل توتر فيه ما دفع الكائن الحى لعلاج المشكلة وإزالة التوتر الناتج عنها.

والجشطلت أو الكل -وهو ما يتحكم فى الأجزاء ويجعلها على ما هى عليه - هو الكل وراء حالة المصباحين و هو الكل وراء حالة موقف القرد، ولن نفهم لا الحالة الأولى و لا الموقف الثانى إلا به، فالكل هو الذى يحدد الأجزاء وليس العكس كما هو الحال فى الذرية السيكلوجية *Atomistic Psychology*، ومن ثم فهمت الباحثة "order" التى وردت فى كتاب ميرلوبونتى "تركيب السلوك" فى عبارات مثل "physical order" و "virtual order" على أنها "نظام"؛ لأنها تعنى الطريقة التى تُرتب وتُنظم فيها الأجزاء فى علاقتها ببعضها البعض تخضع

من حيث المبدأ لنظام هو الكل الذى يحدد ما يمكن أن تكون عليه علاقاتها المتنوعة.

ومن جهة أخرى - كما سبق - تتفاعل عناصر الجشطلت بشكل دينامي حتى يعرف فيه كل جزء الجزء الآخر فيتكيف مع ما يحدث له، أيضاً يميل الكل أو الجشطلت لاستعادة التوازن بذاته بدون تأثير من قوى خارجية : حيث استقبل الدماغ فى الحالة الأولى (فى ظاهرة الفاي) مجالين نسق بينهما ، وتمثل التوتر فى مجال السلوك فى مجال الدماغ كتوتر ، والاستبصار Insight أو الاكتشاف المفاجيء للحل هو الحل الذى يؤدى لإنهاء المشكلة.

وكذلك الحال مع فقاعة الصابون \* soap bubble التي تبدأ فى أشكال مختلفة لكنها تتغير إلى أن تصل إلى كرة تامة لأن هذا الشكل الكروي هو الذى يمثل التوازن بين القوى الخارجية و الداخلية ، فهذا الشكل " هو حالة التوازن بين القوى الخارجية التى تؤثر على سطح الفقاعة الخارجى وتحاول أن تضغطها فى نقطة واحدة وبين ضغط الهواء داخلها الذى يحاول الوصول لأكبر حجم ممكن للفقاعة، والشكل الدائرى هو الحل الوحيد لمشكلة الأقل والأكبر "(68).

وفى التركيب أو النظام الحيوى vital order عند ميرلوبونتى نجد ثباتاً فى حالة خاصة للتوازن للكائن الحى مع بيئته الخارجية ، وهى حالة تميز الكائن الحى المفرد عن غيره ، حيث يوجد تركيب عام للسلوك لكل فرد يتم التعبير عنه فى ثوابت معينة للتصرف ولعبارات الاحساس و الحركة (المستوي الذى يبدأ عنده استقبال الإثارة و التنبيه ) ودرجة الحرارة و ضغط الدم ...إلخ ، وكل ظاهرة منها تعبر بشكل متعادل تماماً عما يمكن أن نسميه ماهية الفرد(69)، فالكائن يرغب فيما يحفظ بقاءه وهذا يسبب له التوتر ولن يزول هذا التوتر ويتحقق التوازن

بالظروف الخارجية التي لا سلطة للكائن الحي عليها - علي نحو ما حدث مع فقاعة الصابون التي حفظت التوازن بين ضغط الهواء الخارجي والضغط داخل الفقاعة - إنما يتحقق التوازن بانتقاء الكائن الحي للمثير و البيئة التي تحدث التأثير المطلوب له، فالكائن الحي يختار ما يتأثر به : ففي يدى أداة للإمساك بالحيوان وهو يقاوم محاولات الإمساك هذه ، "وواضح أن كل حركة من حركاتي إنما تستجيب لمثير خارجي لكن من الواضح أيضا أن أفعال الإثارة هذه لا يمكننى استقبالها بدون الحركات التي أعرض فيها أعضائى المستقبلية لتأثير أفعال الإثارة تلك" (70).

لكن فى الوقت الذى أجاب فيه مفكرو الجشطلت عن السؤال لماذا تبدو الأشياء لنا فى الإدراك على نحو ما تبدو؟ ولماذا يسلك الكائن الحي على نحو ما يفعل؟ وكانت الإجابة بسبب العمليات الفسيولوجية التى تحدث داخل الكائن الحي ، والتى لها نفس التنظيم والعلاقة بين الأجزاء التى نجدها فى الإدراك أو الظواهر، أى أن الاجابة كانت برد النظامين الحيوى و العلقى للنظام المادى وللعمليات المادية فى الدماغ ، فإننا وجدنا ميرلوبونتى يميز بين الجشطلت أو النظام الخاص بالشىء المادى Physical Order ، والنظام الحيوى أو النظام الخاص بالكائنات الحية الأدنى من الانسان Vital Order ، والنظام الخاص بالإنسان Human Order معتبرا الاختلاف بينها فقط فى درجة التكامل لا فى نوع الأشياء؛ لأن النظم الثلاثة هى علاقات و تركيبات لا جواهر .

فالأنظمة الثلاثة هى ظواهر Phenomena و معانى بالنسبة للوعى وفكرة الجشطلت هى "انضمام فكرة Idea لوجود Existence دون تمييز بينهما"، لكن الوعى هنا ليس الوعى الخالص التراندنتالى الذى يوجد خارج العالم ويكوّنه لكن الوعى الساذج naive consciousness أو الإدراك المباشر

Immediate Consciousness يحيا في اتصال مباشر مع الموجودات و الأشياء ومع جسمه ، وبذلك يكون ميرلوبونتي قد رجع للظواهر .  
فالأشياء في الإدراك المباشر ليست علة تحدث فينا صورها أو محتواها بحيث تقف هذه الصور أو المحتويات بيننا وبين الأشياء المدركة " فلا شيء أكثر غرابة عن الإدراك من فكرة عالم ينتج فينا تمثيلات متميزة عنه بواسطة فعل على (71)؛ " ١٨٨ لأننا ندرك العالم نفسه والأشياء نفسها في حقيقتها الجسمية المادية bodily reality ولأن فعل الإدراك في الإدراك الحى المباشر يكون مثله مثل شعاع الضوء الذى يجعلنا نرى الأشياء نفسها ولا نرى أفكارنا عنها "١٨٥" فلا يظهر لى المكتب الذى أراه أمامى كعلة لمدركاتى عنه أى كعلة تطبع علامتها وتنتج لها صورة فىّ بفعل متعدى لأن فعل الإدراك يبدو كشعاع الضوء الذى يكشف لى الشيء هناك حيث يوجد ويظهر حضوره الكامن حتى ذلك الحين " (72).

## الهوامش

### أولاً: هوامش المقدمة

\*موريس جان جاك ميرلوبونتي Maurice Jean Jacques Merleau Ponty (١٩٠٨-١٩٦١) فيلسوف فرنسى فنومولوجى اشتهر بكتابه "فنومولوجيا الإدراك lived body " ودوره فى الإدراك و الكلام و العلاقة بالآخرين وغيره ، لكن البحث عن كتابه الأول " تركيب السلوك " .

يقع كتاب " تركيب السلوك" فى أربعة فصول ، الأول : نقد للذرية الفسيولوجية أو للتحليل العلمى للسلوك الذى يسعى وراء الموضوعية ، فيستبعد معطيات الوعى الساذج ويخلق ثنائية بين العلم و الوعى العادى، ويرد السلوك إلى مجموعة أفعال منعكسة لا يوجد بينها أى رابط أصلى لكن اتضح فشل ذلك التفسير حتى على مستوى الفعل المنعكس .

الفصل الثانى : يوضح أن ذلك التفسير الذرى فشل أكثر من ذلك على مستوى المستويات الأعلى من السلوك مثل التعلم على نحو ما وضحت نظرية الجشطلت .

وفى الفصل الثالث : ينتقد ميرلوبونتي مفكرى الجشطلت أنفسهم ؛ لأنهم عرضوا النتائج الأكثر أهمية لفكرة الجشطلت للخطر، ونقد ميرلوبونتي للذرية الفسيولوجية و لنظرية الجشطلت فى السيكلوجيا يرتبط بموضوع فلسفى هو الهجوم على المذهب التجريبي أو الواقعى الذى يفترضه هؤلاء إلا أن ميرلوبونتي بذلك لا يؤيد الموقف المضاد المثالى ، وفى الفصل الرابع : يقدم ميرلوبونتي فكرة جديدة للوعى وذلك بعد نقده لمفكرى الجشطلت . انظر

### فى ذلك

Merleau- Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*. Trans. By Alden L. Fisher .Boston: (Beacon Press).p.4-5.

### And

Bannan, John F.(1967).*The Philosophy of Merleau Ponty*. New York: (Harcourt,Brace&World INC).P.30-31.

(1) Merleau- Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*. p.3.

(2) Ibid.

(3) Ibid.

\*يستخدم ميرلوبونتي كلمة " نقدى " فى عبارة " التفكير النقدى critical thought " ليشير إلى الفلسفة التى بدأها كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) والتى يمثلها بشكل خاص فى كتابه "تركيب السلوك" ليون برنشفيك ، أما الواقعية Realism والتحليل الواقعى Realistic analysis فيشير بهما ميرلوبونتي عادة للاتجاه أو المذهب الطبيعى Naturalism الذى يعتبر أن العالم كما يراه العلم هو الحقيقى ، وأن الحقيقة لا تتألف إلا من أشياء أو علل أو قوى طبيعية ، كما يشير ميرلوبونتي بهاتين الكلمتين "الواقعية و التحليل الواقعى " أحيانا للواقعية

الساخنة للعلم و للإدراك العام بأن العالم يوجد بدون مساهمة من الذات التي تستقبل تأثيره عليها بشكل سلبي **راجع في ذلك Ibid. p.x.**

\*\* في وصفه للأسلوب السائد في التفكير في علم النفس استخدم ميرلوبونتي المذهب التجريبي Empiricism- التفكير العلى causal thinking - التفكير الآلى Mechanical thinking - المذهب الطبيعي Naturalism - المذهب المادى Materialism بشكل متبادل.

Bannan, John F.(1967).*The Philosophy of Merleau Ponty* .P.28.

-----  
\*ليون برنشفيك (١٨٦٩-١٩٤٤) شخصية بارزة في المثالية الفرنسية و أهم ممثلى الكانطية الجديدة الفرنسية فى القرن العشرين.

(4) Merleau- Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.p.3.

(5) **Ibid. p.4**

\* Available

<https://psychclassics.yorku.ca/Koffka/Perception/perception.htm>

(6) **Ibid. p.9.**

\*الصورة form والصيغة pattern والشكل shape أيضاً الترتيب configuration معانى و مترادفات للكلمة الألمانية Gestalt . راجع

(7) Woodworth, Robert S. (1945).*Contemporary Schools of Psychology*. London (METHUEN & Co, LTD).p.99.

## ثانيا : هوامش البحث

- \* Ernst Mach (١٨٣٨-١٩١٦) طبيب وفيلسوف نمساوي عرف بإسهاماته في الفيزياء كما عرف كفيلسوف أثر في الوضعية المنطقية و البرجماتية الأمريكية.
- (8) Ehrenfels ,CH.Von. (1988). '*ON Gestalt Qualities*', in Barry Smith (ed.,) *Foundation of Gestalt Theory* .Munich and Vienna: (philosophia Verlag).p.82.
- <https://philpapers.org/archive/SMIFOG.pdf> Available
- (9) Ach, M. G.(1995).*Gestalt Psychology in German Culture, 1890-1967: Holism and the quest for objectivity* . Cambridge: (Cambridge university press).pp 87-88.

(10)Mach,E.(1959).*Analysis of sensations and the relation of the physical to the psychical*.New York:(Dover publications, Inc.).p.105.

(\*) لقد اتفق ارنست ماخ ( ١٨٣٨-١٩١٦ ) و فرانز برنتانو

FRANZ BRENTANO (١٨٣٨-١٩١٧) و كارل شتمف CARL STUMPF (١٨٤٨-١٩٣٦) وغيرهم على أن تفسير الذرية السيكلوجية Atomistic Psychology للإدراك على أنه مجرد تجميع للإحساسات الفردية الذرية المستقلة تفسير غير ملائم؛ لأن الخبرة الإدراكية إنما تولف كلاً متحدًا ، وعلى إثر هذا الموضوع ظهرت مدرستان : Graz school في النمسا ومنها مينونج ALEXIUS MEINONG (١٨٣٨-١٩٢٠) تلميذ برنتانو الذي طور أفكار ايرنفلس رغم أن الأخير كان مشرفاً عليه ، ومدرسة برلين ومؤسسها كارل شتمف تلميذ برنتانو وأستاذ هوسرل - EDMUND HUSSERL (١٨٥٩-١٩٣٨) والذي انتقل من مدينة Wurzburg إلى مدينة Berlin عام ١٨٩٤ ودرّس لعدد من علماء النفس الواعدين ومنهم فرتهايمر MAX WERTHEIMER وكولر KÖHLER (١٨٨٧-١٩٦٧) و كوفكا KURT KOFKKA (١٨٨٦-١٩٤١) مؤسس علم نفس الجشطالت في برلين .

بالنسبة لمينونج ومن تبعه من مدرسة Graz تحتاج صفة الجشطالت لعملية عقلية من مستوى أعلى من الإحساسات الأولية ، فإذا سمعنا اللحن مثلا عزلناه عن النغمات المسموعة حينها وتمكنا من عزفه بنغمات أخرى مختلفة عبر تلك العملية العقلية الأعلى من الإحساس بالنغمات الفردية ، أما مدرسة برلين فرغم معرفتها بفكرة " صفة الجشطالت " عند ايرنفلس إلا أنها اعتبرت حركتها انفصالا جذرياً عن أفكاره؛ حيث رأى فرتهايمر أننا لا نحتاج لعملية عقلية من مستوى أعلى من الإحساسات حتى ندرك الجشطالت ،إننا من وجهة نظر فرتهايمر ندرك الكل أو

الجشطلت مباشرة و هو الأولى وليست الإحساسات ؛لأن الأخيرة تعتمد على التركيب الإدراكي الكلى Holistic Perceptual structure الذى توجد فيه وهو الذى يحدد ما تكون عليه الأجزاء.

#### راجع

Alistair M.C.Issac and Dave Ward.(2019).*Gestalt Phenomenology and embodied cognitive science* . Available:

<https://link.springer.com/content/pdf/10.1007/s11229-019-02391-7.pdf>

(11) Ehrenfels, CH. Von. (1988). *Ibid*.

(12) *Ibid.P.93*.

(13) Ehrenfels, Ch. Von. (1988). '*ON Gestalt Qualities (1932)*', in Barry Smith (ed.,) *Foundation of Gestalt Theory*. p.121.

<https://philpapers.org/archive/SMIFOG.pdf>available

(14) أنشأ فونت أول معمل لعلم النفس فى مدينة ليبزج Leipzig الألمانية ،واعتبر ذلك بداية لعلم النفس الحديث ،كما اعتبر هو أبا لعلم النفس التجريبي ، سمي فونت علم النفس " علم النفس الفسيولوجى " Physiological Psychology اعترافاً منه بأن علم النفس مدين للفسيولوجيا بالمنهج الذى قدمته وهو التجريب .

وعلم النفس عند فونت هو علم الخبرة الواعية المباشرة أى الشعور المباشر بالحرارة مثلاً دون وجود أداة (ترمومتر) تسجل درجة الحرارة، وتنقل لى معرفة غير مباشرة عنها ، والخبرة المباشرة إنما تكون خيرة بالعناصر البسيطة للوعى التى نصل إليها بتحليل محتويات الوعى، وهذه ذات طبيعة مركبة وعند تحليلها نصل لأجزاء أولى لا ترد إلى ما هو أبسط منها وهى الإحساسات والانفعالات التى تصاحبها، ومن ثم سمي علم النفس بالسيكولوجيا الذرية atomistic psychology ويتم عزل تلك العناصر الأولى و تجريدها بمنهج الاستبطان Introspection المقرون بالتجريب أو ملاحظة الخبرة من قبل من يمارسها مع التحكم التجريبي الدقيق فى الظروف التى يتم فيها الاستبطان، وواضح أن دراسة الخبرة الواعية بهذه الطريقة سوف يفقدنا صفات الكل الذى يُعطى فى الخبرة المباشرة ذاتها على نحو ما هى معيشة ثم نعود لنبحث عن مبدأ لجمع العناصر (الصناعية) التى عزلت عن سياقها وهو مبدأ الترابط association.

#### راجع

Hergenhahn, B.R. (2009). *An introduction to the history of psychology*, (6 ed.,). USA: (Wadsworth) .p.267-268.

(15)Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*. Trans.  
By Alden L. Fisher .Boston: (Beacon Press).p.106.

المجال Field هو الحيز المحيط بالمغناطيس أو الشحنة الكهربائية والذي يظهر فيه آثار كل منهما، إذ قد تحدث العلماء في نهاية القرن ١٩ م عن القوى Forces التي ينتشر تأثيرها في المكان الفارغ دون معاونة وسيط مادي ينقل التأثير ، لهذه القوى خواص الامتداد والشكل وهذا ما يتضح مع برادة الحديد التي إذا وضعناها على ورقة فوق مغناطيس نلاحظ أنها سترتب نفسها في مسارات غير متقاطعة تخرج من القطب الشمالي وتعود عند القطب الجنوبي للمغناطيس ، فالمجال هو الوسيط لنقل القوة حيث لا تكون الأجسام فيه منعزلة إنما مرتبطة مؤلفة كلاً غير قابل للانفصال عن أجزائه بحيث يؤثر أي تغير في جزء من المجال بالضرورة على أي شيء آخر في المجال، وقد انتقلت فكرة المجال من الفيزياء إلى علم نفس الجشطلت حيث طبقها كولر على الدماغ Brain الذي رآه مجالاً من قوى كهروكيميائية توجد قبل الإثارة الحسية وعندما تدخل المعطيات الحسية في هذا المجال تعدل فيه وتتعدل به .

راجع

Lowry, R. (1971). *The evolution of psychological theory 1950 to the present*. New York: (Atherton). pp. 222-223.

Available:

<https://archive.org/details/evolutionofpsych0000lowr/page/n9/mode/lup>

راجع أيضا

Sundqvist, F. *The gestalt according to Berlin school: The crossroads between Empiricism and Rationalism: Part iii*. Gestalt theory vol. 29(2007).No.3.p 227.

\*يقصد ظاهرة الفاي.

(17) KÖhler, W. (1969).*The task of Gestalt psychology*. Princeton:  
(Princeton university press).pp .63-64.

Available:

<https://archive.org/details/taskofgestaltpsy0000kohl/page/n8/mode/1up>

(18) KÖhler, W.Ibid.p.64.

(19) Lowry, R. (1971). *The evolution of psychological theory 1950 to the present*. New York: (Atherton). pp. 221-222. Available

<https://archive.org/details/evolutionofpsych0000lowr/page/n9/mode/lup>

(20) KÖhler, W. (1969). *The task of Gestalt psychology*. pp.64-65.

(21) Merleau- Ponty, M. (1963). *The Structure of Behavior*. p.9.

\*النظام المادى هو كل جزء من الكون تتم فيه تغيرات فيزيائية، كالماء فى الإناء،  
مثلاً إن كان مغلياً تصاعدت مادة النظام وهى الماء على هيئة بخار إلى الوسط المحيط ،  
كما أن حرارة الماء(الطاقة) تتسرب إلى المحيط أيضاً .

Available

<https://ask-chemistry.com/1155>

(22) Ibid.p.7.راجع

(22) Ibid.p.8

\*Kurt Goldstein (١٨٧٨-١٩٦٥) طبيب ألمانى متخصص فى أمراض الأعصاب neurologist و الأمراض العقلية psychiatrist ، وضع نظرية كلية عن الكائن الحى فى ١٩٣٤ م بعد طرده من ألمانيا كونه يهودياً عقب تولى هتلر السلطة فيها ،وهى نظرية ترى أن السلوك الإنسانى و القدرات لا يمكن فهمها إلا إذا نظرنا إليها فى علاقتها بالكائن الحى ككل .

(24) Goldstein. K., (1995). *The Organism: A Holistic Approach to Biology derived from Pathological Data in Man* .New York :( zone Books) P. 69.

(25) Goldstein K., (1963). *Human Nature In the Light of Psychopathology*. New York: (Schocken Books).p.10.

(26) Goldstein. K., (1995). *The Organism*.p.307

(27) Ibid.p.321.

(28) Spiegelberg .H. (1972). *Phenomenology in Psychology and Psychiatry*. Evanston :( Northwestern University Press) P.310-311.

\*يرى جولدشتاين أننا نكون فكرة عن الكائن الحى بالتدرج تماماً كما يحدث فى تعلم مهارة مثل ركوب الدراجة بالتدرج حيث يقوم الجسم فى البداية بحركات غير ملائمة أو مناسبة بشكل جزئى للركوب الصحيح للدراجة ، إلى أن نكون قادرين فجأة على المحافظة على

التوازن فنسير بالطريقة الصحيحة، هذه التمارين والممارسات الأولية لها فقط علاقة غير مباشرة بالأداء الذى تم تحقيقه عند الانتهاء من تعلم ركوب الدراجة على النحو الصحيح ، ومع ذلك هى ضرورية لأننا سنصل بالتعديل المستمر لتلك الممارسات للأداء الصحيح ، وتظهر الحركة الصحيحة فجأة عند بلوغ حالة من التوافق بين فعل الكائن الحى وظروف البيئة ، وتتضمن هذه الحركة الصحيحة فهم دقيق للإجراء الصحيح لركوب الدراجة والذى نحاول باستمرار الوصول إليه حتى يصبح هو الإجراء الوحيد الذى نقوم به عندما نرغب فى ركوب الدراجة . راجع .Goldstein. K., (1995).*The Organism* .p.307.

(29) Goldstein. K., (1995).*The Organism* .p.306.

\*\*ثوابت مثل : ثوابت بالنسبة لعتبة الإحساس و الحركة أى أقل مستوى للقوة يجب أن يصل إليه المثير حتى يدرکه الكائن الحى، وأقل مدة للمثير يمكن أن تحدث حركة لعضلات الكائن الحى الساكنة، وثوابت فى درجة الحرارة وفى ضغط الدم والتنفس ونسب الكالسيوم واليوتاسيوم ونوع معين من رد الفعل للسموم... إلخ راجع،Ibid.282.

(30) Ibid.p.266.

-----  
(31) راجع

Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.p.11.

(32) Ibid.p.10.

(33) Ibid.p.31.

(34) Ibid. p.28-29.

(35) Ibid. p.87 .

\* بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦) عالم وظائف أعضاء روسى فسر التعلم بنظرية الاستجابة الشرطية حيث قرن المثير الطبيعى (تقديم الطعام) الذى يسبب استجابة طبيعية للكلب (سيلان اللعاب) بمثير آخر محايد (رن الجرس) الذى لا يسبب إلا الانتباه فقط عدة مرات، فلاحظ أن الكلب يسيل لعابه عند رن الجرس فقط دون تقديم الطعام ، وهنا تحول المثير المحايد إلى مثير شرطى يسبب استجابة شرطية.

-----  
(36) Ibid. p.94. راجع

\* فى تجارب باينتديجك Buytendijk ( ١٨٨٧-١٩٧٤) وهو بيولوجي وعالم نفس هولندى) إذا دربنا سمكة الشمس sunfish على رؤية الخبز الأسمر أولاً ثم الخبز الأبيض وبعد اكتساب العادة خلطنا أجزاء من الطباشير مع الخبز الأبيض فإن السمكة تبدأ فى السلوك نحو الطباشير بشكل مختلف عن سلوكها نحو الخبز الأبيض، حينئذ إذا خلطنا قطعاً من المطاط الأسود بالخبز الأسود فإن سلوكاً مميزاً آخرًا تكتسبه السمكة لكن بسرعة أكبر عنها فى الحالة الأولى، وبعد فترة زمنية أقصر من هذه الأخيرة تعود السمكة للتكيف مع الخبز الأبيض ، ومن

ثم فإن التثبيط ( انطفاء الاستجابة تجاه الطباشير ) inhibition المكتسب بالنسبة لأجزاء الطباشير يمكن الحيوان من اكتساب تثبيط أسرع في حالة المطاط، ومن ثم فإن الحيوان قد اكتسب القدرة على الانتقاء والاختيار ولم يكن يتكيف مع مواد معينة . راجع **Ibid.** p.97.

(37) **Ibid.** p.96.

(38) **Ibid.** p.161.

(39) **Ibid.** p.35.

(40) **Ibid.** p.79.

(41) **Ibid.** p.91.

(42) **Ibid.** p.47 .

(43) **Ibid.** p.50 راجع

يذكر ميرلوبونتي في نفس المرجع ص ١٣٧ " فكرة الصورة التي فرضت علينا من قبل الحقائق تشبه فكرة النظام الفيزيائي ، أى فكرة مجموعة من القوى فى حالة توازن أو تغير دائم بحيث لا يمكن صياغة قاعدة لأى قوة بمعزل عن القوى الأخرى ، وبحيث أن كل متجه \* يتحدد فى حجمه واتجاهه بباقي المتجهات ، ومن ثم سوف يترجم أى تغير موضعى فى الصورة بإعادة توزيع القوى الذى يضمن استقرار علاقة هذه القوى ، وإن هذه الدائرية الداخلية لى النظام كحقيقة فيزيائية . " و\*المتجه vector هو الكميات التى لها مقدار واتجاه مثل السرعة لها مقدار واتجاه أما الطول مثلا فله مقدار فقط.

(45) **Ibid.** p.206.

(46) **Ibid.** p.144.

\* حيث ميز كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) بين عالم الظواهر وعالم النومينا ، الأول : هو العالم على نحو ما يظهر لحواسنا أى كما يؤثر فى حواسنا بواسطة الحدوس الحسية ، والثانى : هو نفس العالم لكن لا بالنسبة للإنسان ولحواسه ، وعالم الظواهر اتحاد لعنصرين: الحدوس الحسية التى نستقبلها بلا إرادة بحواسنا (الألوان والأصوات والطعوم و الروائح والملمس ) والتصورات القبلية الصورية الخالصة ، وهى عبارة عن طرق معينة لجمع وترتيب لهذه الحدوس الحسية، أو هى طرق موجودة بشكل قبلى فى طبيعة العقل للحكم على هذه المادة الحسية وفهمها .

ومن ثم لا تصور قبلى يمكن أن يظهر إلا إذا سبقه استقبال مادة حسية، فمثلا إذا رأيت مجموعه أقلام سوداء فقد وصلت لحاسة البصر عندى حدوساً حسية عن لون وشكل الأقلام فحكمت " بأن الأقلام كلها سوداء" ، هذا الحكم هو جمع بين حدوس حسية هى رؤية اللون الأسود فى كل الأقلام وفكرة موجودة مقدما للحكم على المادة الحسية وفهمها وترتيبها هى

فكرة الوحدة أو مقولة الوحدة ، ولا يمكن أن نفصل رؤية اللون الأسود الواحد في كل الأقسام عن فهم الوحدة بين الأقسام .

راجع (47)

Romdenh-Romluc,K.(2018) *Science in Merleau-Ponty's Phenomenology: from the early work to the later philosophy*. In: Zahavi, D., (ed.) Oxford Handbook of the History of Phenomenology .Oxford: Oxford university press. (pp.340-359) .

\* راجع ص ١٣ من البحث.

(48) Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.p.46.

(49) **Ibid**.p.36.

(50) **Ibid**.p.41.

(51) راجع

**Ibid**.p.39-40.

(52) Priest .S., (1998). *Merleau-Ponty*. London :( Routledge).pp.162-163.

(53) Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.p.137.

(54) **Ibid**. p.145.

(55) **Ibid**.p.162.

(56) **Ibid**.p.104.

(57) Low, Douglas.(1994).*The foundation of Merleau Ponty's Ethical Theory*. Human Studies, Vol. 17, No. 2, pp. 173-187.

(58)Vörös, Sebastjan.(2020) "*Mind Embodied, Mind Bodified: Merleau-Ponty and the Enactive Turn in Mind Sciences*". Études Phénoménologiques, vol. 4, pp.91-117.

Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.p.118.) 59(

\* راجع ص (ج) من البحث الحالي

(60) Bannan, John F.(1967).*The Philosophy of Merleau Ponty*.p.28.

(61) Romdenh-Romluc, K. (2018) *Science in Merleau-Ponty's Phenomenology : from the early work to the later philosophy*. In: Zahavi, D., (ed.) Oxford Handbook of the History of Phenomenology .Oxford: Oxford university press. (pp.340-359).

62) Koffka, K., (1935). *Principles of Gestalt Psychology*. p.49. Available(

<https://archive.org/details/in.ernet.dli.2015.166426/page/n10/mode/1up>

\* يميز كوفكا بين السلوك الكلي molar behavior والسلوك الجزئي molecular behavior الأول: هو الفعل الهادف للكائن الحي الذي يحكمه إدراك معنى البيئة ، أما السلوك الجزئي فهو وصف العملية التي تحدث داخل الكائن الحي من إثارة الحواس إلى انتقال الإثارة عبر الألياف العصبية و المركز العصبي ثم تحول الإثارة وانتقالها إلى العصب المستجيب وانتهائها إلى انقباض عضلة أو إفراز غدة.

ويتألف السلوك الكلي من عناصر تتفاعل مع بعضها البعض وأي تغيير في إحداها يؤدي إلى تغيير الآخر، أما السلوك الآخر الجزئي فيتألف من عناصر تعمل بشكل مستقل عن بعضها البعض على نحو ما فسرت المدرسة السلوكية السلوك بعناصر منفصلة ، ويتطلب تفسير السلوك الكلي عند كوفكا تمييز البيئة السلوكية عن البيئة الجغرافية : البيئة الجغرافية هي البيئة على نحو ما يصفها علم الطبيعة وهي علة الإثارة الحسية ، أما البيئة السلوكية فهي البيئة على نحو ما تبدو في خبرتنا ، إنها معنى البيئة الجغرافية في وعى الكائن الحي وليشرح كوفكا ذلك يذكر حكاية ألمانية حيث قامت عاصفة ثلجية شديدة في أحد ليالي الشتاء وكان هناك فارس يمتطي جواده ضل الطريق وهو يبحث عن بحيرة كونستانس ، وفجأة وجد هذا الفارس فندقاً ففرح لأنه وجد مأوى من العاصفة الثلجية، وعندما رآه صاحب الفندق سأله مندحشاً عن الاتجاه الذي جاء منه فأخبره ، فرد صاحب الفندق مذهولاً "لقد اجتزت بحيرة كونستانس بجوادك " وعندما أدرك الفارس أنه مر لساعات على البحيرة لا على ما اعتقده سهلاً مغطى بالثلج مات لتوه فرحاً فلم تكن البيئة السلوكية لهذا الفارس البيئة الجغرافية على حقيقتها إنما كانت البيئة الجغرافية في فكره ، لقد بدت له البحيرة كأنها أرض صلبة غطاها الثلج ولو عرف أنها البحيرة وقد تجمد مأواها لامتنع عن سلوكه هذا .

Koffka, K., (1935). *Principles of Gestalt Psychology*. p.27-28. راجع

(61) *Ibid.*, p.56.

(64) Merleau Ponty, M. (1963). *The Structure of Behavior*. pp. 135.

(65) راجع

*Ibid.* P. 137

(66) *Ibid.*, pp. 133-134.

ثالثاً : هوامش الخاتمة و النتائج

(67)Leahey, Thomas H. (1991). *A History of Modern Psychology*.New Jersey :( Prentice-Hall ). PP.72-73. Available

<https://archive.org/details/historyofmodernp00leah/page/72/mode/1up>

(68) Merleau Ponty, M. (1963).*The Structure of Behavior*.P.146.

(69 ) **Ibid**,P.148.

\*الجشطلت يوجد فى الطبيعة أيضًا حيث تحدث كولر عن الصورة المادية physical form مثل فقاعة الصابون و النظام الشمسى.

-----

(70 ) **Ibid**,P.13.

(71 ) **Ibid**, P.188.

(72 ) **Ibid**, P.185.

-----

## **Merleau Ponty's Critique of Gestalt Theory In His Work *The Structure of Behavior*.**

In his short introduction to "the Structure of Behavior" Merleau Ponty pronounced his aim to understand the relation between Consciousness and Nature.

Among his contemporaries there were two main attitudes: the realist, empiricist, materialist or naturalist in (biology) and psychology which sees consciousness as physical events in nature existing parts extra parts and in causal relations with other physical events and the idealist which sees it constituting nature and existing outside it distinct from it. But Merleau Ponty chose a third position which is the "Form" philosophy.

Merleau Ponty chose studying "Behavior" because the "Classical theory of the Reflex" was an application of the realistic analysis and causal explanation. This Theory treats Behavior as parts extra parts and in causal relations with each other and with other physical events. Then criticizing this theory is a criticizing of the first contemporary attitude to Merleau- Pony's time. This does not mean that Merleau- Pony's was an idealist.

Although he called Gestalt psychologists: Wertheimer, Kaffka and Kohler philosophers of "Form", they did not think according to it because they neglected the originality of both the virtual (biological) order and the mental order by reducing them to the third physical order. "Form" then according to their theory is a "Thing" but Merleau Ponty sees it indiscernible from existence. "Form" or "Structure", for him, is an idea indiscernible from existence.